علم البيان

١ ألبيان [١] معناه فى اللّغة — الكشف والإيضاح

وفى اصطلاح البلغاء — أصولٌ وقواعدُ يُعرف [٢] بها إيرادُ المعنى الواحد بطُرُقٍ يختلِف بعضُها عن بعض فى وُضوح الدّلالة على نفس ذلك المعنى

(ولا بُدّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً)

فالمعنى الواحد ككرم سعد — يُدلُّ عليه تارة بطريق التّشبيه بأن

---

(١) هو اسم لكل شئ كشف لك بيان المعنى وهتك لك الحجب دون الضمير — حتى يفضى السامع الى حقيقته . ويهجم على محصوله ، كائنا ما كان ذلك البيان . ومن أى جنس كان ذلك الدليل — لان مدار الأمر والغاية التى يجرى اليها القائل والسامع انما هو الفهم والافهام . فبأىّ شئ بلغت الافهام ، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع . واعلم أن المعتبر فى علم البيان دقة المعانى المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الالفاظ الدالة عليها . فالبيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير (٢) أى يعرف من حصّل تلك الاصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض . فعلم البيان علم يُتمكن به من إبْراز المعنى الواحد بصور متفاوتة ، وتراكيب مختلفة فى درجة الوضوح ، فالمحيط بفن البيان . الضليع من كلام العرب منثوره ومنظومه . إذا أراد التعبير عن أىّ معنى يجول بضميره . استطاع أن يختار من فنون القول وطرق الكلام . ما هو أقرب لمقصده . وأليق بغرضه ، بطريقة تُبيّن مافى نفس المتكلم من المقاصد ، وتوصل الأثر الذى يريده به الى نفس السامع فى المقام المناسب له ، فينال الكاتب والشاعر والخطيب من نفس مخاطبيه إذا جوّد قوله ، وسحرهم ببديع بيانه

يقال « سعد كحاتم » ومرّة بطريق المجاز . بأن يُقال « رأيت بحراً فى دار سعد » وأخرى بطريق الكناية . بأن يُقال « سعد كثيرُ الرّماد »

ولا يخفى أنّ بعضَ هذه التّراكيب أوضحُ من بعض كما ستعرفه[1]

«ب» وموضوع هذا العلم الألفاظ العربية من حيث المجازُ والكنايةُ وأمّا التكلّم عن الحقيقة والتّشبيه فليس مقصوداً بالذات فى علم البيان

«ج» وواضعه أبو عُبيدةَ الذى دَوَّنَ مسائل هذا العلم فى كتابه المسمَّى « مجاز القرآن » ومازال ينمو شيئاً فشيئاً حتى وصل الى الامام « عبدالقاهر » فأحكم أساسه ، وشيَّدَ بناءه ، ورتّب قواعده ، وتبعه الجاحظ ، وابن المُعتز وقُدامة ، وأبو هلال العسكرى

«د» وثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب « منثورِه ومنظومِه » ومعرفة مافيه من تَفاوُتٍ فى فنون الفصاحة ، وتبايُن فى درجاتِ البلاغة التى يصِل بها الى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذى حار الجنُّ والإنسُ فى مُحاكاته ـ وعجزوا عن الإتيان بمثله

مقدمة

اللفظ إن عُيِّن بازاء معنى ليدلَّ عليه سُمِّى موضوعا ، والمعنى موضوعا له ، والتّعيين وضعاً . ثم إنه بعد ذلك إمّا ألاّ يُتصرَّف فيه عند الاستعمال أو يُتصرَّف فيه عنده

---

(١) ولا يغيب عن البال أن الألفاظ المترادفة تتفاوت دلالتها من جهة اللفظ والعبارة ، لا من ناحية الوضوح والخفاء فلا تدخل حينئذ فى مباحث فن البيان

فالأول ـ وهو الذى لا يُتَصَرّف فيه عند الاستعمال يُسَمَّى (حقيقة) [١]

والثانى ـ وهو الذى يُتصرّف فيه عند الاستعمال

« ا » فان كان التّصرف باسناده الى غير ماحقّه أن يُسند اليه سُمِّى « مجازاً عقليا ـ أو ـ إسناداً مجازيا ـ » نحو بنى الأمير المدينة

«ب» وان كان ينقله من معنى لمعنى لعلاقة وقرينة

وهى خمسة أنواع (١) الحقيقة العقلية [١] وهى اسناد الشئ إلى ماهو له عند المتكلم فى الظاهر نحو : أنبتَ اللهُ الشجر

٢ الحقيقة اللُّغوية وهى الكلمة المُستعملة فى الشئ الذى وضعت له عند أهل اللغة ـ نحو : أسد « للحيوان المفترس »

٣ الحقيقة الشّرعية وهى الكلمة المستعملة فى الشىء الذى وُضعت له عند أهل الشرع كالصلاة فأنها موضوعة « للأقوال والأفعال المخصوصة »

٤ الحقيقة الاصطلاحية الخاصة وهى الكلمة المستعملة فى ما وُضعت له فى اصطلاح خاص كالفاعل فإنه موضوع فى اصطلاح النحاةُ « للاسم المرفوع بالفعل المذكور قبله أو شبهه »

٥ الحقيقة الاصطلاحية العامة وهى الكلمة المُستعملة فى ماوُضعت له فى اصطلاح العام نحو ـ دابّة . فانها موضوعة فى العُرف العام « لذوات الاربع كالفرس والحمار »

---

(١) أقسام الحقيقة العقلية أربعة ـ الأول ما يطابق الواقع والاعتقاد معا كقول المؤمن أنبت الله الزرع ـ الثانى ما يطابق الاعتقاد فقط كقول الجاهل أنبت المطر الزرع ـ الثالث ما يطابق الواقع دون الاعتقاد ، كقول المعتزلى لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها ـ خلق الله الافعال كلها ـ الرابع مالا يطابق شيئا منهما كقولك جاء فريد ـ وأنت تعلم أنه لم يجئ « دون المخاطب »

فان منعت قرينتُه إرادةَ المعنى الموضوع له «فمجاز بالاستعارة» ان كانت العلاقة المشابهةَ — «ومجازٌ مرسلٌ» ان كانت العلاقة غيرَها

وان لم تمنع القرينة ـ فان كان بالكاف وكأنّ ونحوهما «فتشبيه» وإلاّ «فكناية»

ولهذا انحصر علم البيان فى التّشبيه ـ والمجاز ـ والكناية

الباب الاول

﴿فى التّشبيه (١)﴾

التّشبيه — أوّلُ طريقة تدُلُّ عليه الطّبيعة لبيان المعنى ـ وهو فى اللغة التّمثيل ـ وعند علماء البيان ـ مُشاركة أمرٍ لأمرٍ فى معنًى (٢) بأدوات (٣)

---

(١) اعلم أن للتشبيه موقعاً حسنا فى البلاغة ـ وذلك لاخراجه الخفى إلى الجلى وإدنائه البعيد من القريب ، يزيد المعانى رفعة ووضوحا ، ويكسبها توكيداً وفضلا ويكسوها شرفا ونبلا . فهو فن واسع النطاق . فسيح الخطوة ، ممتد الحواشى ، متشعب الأطراف . متوعر المسلك . غامض المدرك . دقيق المجرى . غزير الجدوى

(٢) فالتشبيه هو الدلالة على أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها فى صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه ، وبتعريف التشبيه بذلك خرجت المشاركة فى عين نحو اشترك زيد وبكر فى الدار فانه لا يسمى تشبيها

(٣) خرجت الاستعارة والتشبيه الضمنى فى بعض صور التجريد «وهو مالم يكن تجريد الشئ عن نفسه» لانه حينئذ لاتشبيه نحو لهم فيها دار الخلد ، فانه لانتزاع دار الخلد من جهنم وهى عين دار الخلد لا شبيهة بها ، بخلاف نحو لقيت بزيد أسداً ـ فانه لتجريد أسد من زيد . وأسد مشبه به لزيد لا عينه ففيه تشبيه مضمر

معلومة [١] ـ كقولك ـ العلم كالنّور فى الهداية . . . فالعلم مُشَبّه ، والنور مشبه به ، والهداية وجهُ الشّبه ، والكاف أداة التّشبيه ، فحينئذ أركان التشبيه أربعة ، مشبه . ومشبه به « ويُسمّيان طرفَى التّشبيه » ووجه شبه ، وأداة تشبيه « ملفوظة أو ملحوظة » ـ وفى هذا الباب مباحث

المبحث الاول

﴿ فى تقسيم طرفى التّشبيه إلى حِسّى وعَقلى ﴾

طرفا التّشبيه « المشبه والمشبه به »

١ إمّا حِسّيان [٢] « أى مُدرَكان بإحدى الحواسّ الخمس الظّاهرة » نحو ـ أَنْتَ كالشمس فى الضّياء ـ وكما فى تشبيه « الخدّ بالورد »

فى النفس ـ فكل من الاستعارة والتشبيه الضمنى المذكور لا يسمى تشبيها اصطلاحا وليس التشبيه مجرد الاشتراك فى معنى بل لابد فيه من ادّعاء مماثلة أحد أمرين لآخر فى معنى ومساواته إياه ـ ولذلك نفاه الشاعر

ما أنت مادحها يامن تشبّهها ... بالشمس والبدر لا بل أنت هاجيها
من أين للشمس خال فوق وجنتها ... وبسم كنظام الدرّ فى فيها

(١) وهى الكاف وكأنّ ومثل ونحوها ـ وكذا ماثل وشابه وما اشتق منهما أو يرادفهما فى المعنى مما سيأتى

(٢) اعلم أن من الحسى ما لا تدركه الحواس الخمسة وهى (البصر والسمع والشم والذّوق واللمس) ولكن تدرك مادته فقط ويسمى هذا التشبيه بالخيالى ـ كقوله

كأن الحباب المستدير برأسها ... كواكب درّ فى سماء عقيق

فان هذه الكواكب والسماء لا يدركها الحس لأنها غير موجودة ـ ولكن يدرك مادتها التى هى الدر والعقيق على انفراد ـ والمراد بالحباب ما يعلو الماء من الفقاقيع

٢ وإمّا عقليان ـ أى مدركان بالعقل نحو : العلم كالحياة
ونحو « الضّلال عن الحق كالعمى » ـ ونحو « الجهل كالموت »

٣ وإمّا المشبه حِسّى والمشبه به عقلى ـ نحو ـ طبيب السّوء كالموت

٤ وإمّا المشبه عقلى والمشبه به حِسّى ـ نحو ـ العلم كالنّور

المبحث الثانى

﴿ فى تقسيم طرفى التّشبيه باعتبار الأفراد والتركيب ﴾

طرفا التّشبيه « المشبه والمشبه به »

والضمير للخمر ـ ومنه أيضا قول الآخر

وكأنّ محمّر الشّقيق إذا تصوّب أو تصعّد
أعلام ياقوت نُشر ن على رماح من زبرجد

فان الاعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة — لكن المشبه الذى مادته هذه ليس موجوداً ولا محسوساً . والمراد بالعقلى مالا يدرك هو ولا مادته باحدى الحواس الظاهرة ـ بل ادراكه عقلا : فيدخل فيه الوهمى وهو مالا يدرك هو ولا مادته باحدى الحواس ، لكن لو وجد فى الخارج لكان مدركا بها ـ و يسمى هذا التشبيه بالوهمى ـ كقوله

أيقتلنى والمَشرفىّ مُضاجعى وَمسنُونة زُرق كأنياب أغوال

فان أنياب الاغوال لم توجد هى ولا مادتها . وانما اخترعها الوهم ، لكن لو وجدت لأدركت بالحواس والمشرفى السيف . والمسنونة السهام . والأغوال يزعمون أنها وحوش هائلة المنظر ولا أصل لها . والوجدانيات كالجوع والعطش ونحوهما ملحقة بالعقلى ثم التضاد بين الطرفين قد ينزل منزلة التناسب ، ويجعل وجه الشبه على وجه الظرافة أوالاستهزاء كما فى تشبيه شخص ألكن بقُس بن ساعدة ـ أو رجل بخيل بحاتم ـ والفرق بين الظرافة والاستهزاء بالقرائن . فان كان الغرض مجرد الظرافة فظرافة ـ و إلا فاستهزاء

١ إمّا مفردان « مُطلقان » نحو ـ ضوءه كالشمس
أو مقيدان (١) نحو ـ السّاعى بغير طائل كالرّاقم على الماء
أو « مختلفان » نحو : ثَغره كاللُّؤلؤ المنظوم ـ ونحو : العين الزرقاء كالسّنان

وإمّا مركبان تركيبا لم يُمكنْ إفراد أجزائهما ـ كقوله (٢)

كأنّ سُهيلاً والنجومُ وَرَاءَهُ صُفُوفُ صَلاَةٍ قامَ فِيها إمَامُهَا

(إذ لو قلت كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة . لذهبت فائدة التّشبيه)

٢ أَو مركبان تركيباً اذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة (المشبَّه به) كما ترى فى قول الشاعر الآتى — حيث شبَّه النجوم اللاّمعة فى كبد السّماء بدُرٍّ منتثر على بساط أزرق

---

(١) وتقييده بالاضافة أو الوصف أو المفعول أو الحال أو الظرف أو بغير ذلك ويشترط فى القيد أن يكون له تأثير فى وجه الشبه . ولهذا جعل قوله تعالى ـ (هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن) من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد . ونحو التّعلّم فى الصغر كالنقش فى الحجر

(٢) ومنه قول الآخر

كأنّ مثار النّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوَى كواكبه

فانه شبه هيئة الغبار ، وفيه السيوف مضطربة ، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط فى جهات مختلفة ـ وكقول الشاعر

كأنّ الدموع على خدّها بقيّة طَلٍّ على جُلّنار

فالمشبه مركب من الدموع والخد ، والمشبه به مركب من الطّلّ والجلنار

وَكأنّ أجْرَامَ النّجوم لوامِعاً دُرَرٌ نُثِرْنَ عَلى بِسَاطٍ أزْرَقِ

(إذ لو قلت كأن النّجُوم دُرَرٌ ـ وكأنّ السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولا — لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به)

٣ وإما مفرد بمركب — كقول الخنساء (١)

أغرُّ أبلجُ تأتمّ الهُدَاةُ بِهِ كأنه علمٌ فِي رأسِهِ نارُ

٤ وإما مركب بمفرد — نحو — الماء الملح كالسمّ (٢)

المبحث الثالث

﴿ فى تقسيم طرفى التّشبيه باعتبار تعدّدهما ﴾

ينقسم طرفا التّشبيه « المشبه والمشبه به » باعتبار تعدّدهما الى أربعة أقسام ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع

١ فالتشبيه الملفوف، هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه. والمشبه به مع المشبه به — بحيث يُؤتى بالمشبهات أوّلا، ثم بالمشبهات بها ثانيا

كقوله ليل وبدر وغصن * شعر ووجه وقدُّ

وكقوله

تبسُّمٌ وقطوبٌ فى ندًى ووَغًى كالغيث والبرق تحت العارض البرَد

---

(١) كقوله وحدائق لبس الشّقيقَ نباتُها كالأرجوان منقّطا بالعنبر

(٢) وكقوله لاتعجبوا من خاله فى خدّه كل الشقيق بنقطة سوداء

فالمشبه مركب من الخال والخد، والمشبه به مفرد وهو الشقيق

وكقوله

وضوء الشُّهْبِ فوْق اللّيـل بادٍ كأطراف الأسِنَّة فِى الدُّروع (١)

٢ والتشبيه المفروق — هو جمع كل مشبه مع ما شُبِّه به ـ كقوله (٢)

أَلنّشر مسْكٌ وَالوجوهُ دَنَا نيرٌ وأطرَافُ الأكُفِّ عَنَم

٣ « وتشبيه التسوية » هو أن يتعدّد المشبه دون المشبهُ به ـ كقوله

صُدغُ الحبيب وَحالى كلاهما كاللّيالى

وثَغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى

سُمِّى بذلك للتّسوية فيه بين المُشبّهات

٤ وتشبيه الجمع — هو أن يتعدّد المشبه به . دون المشبه ـ كقوله

كأنما يَبسمُ عن لؤلؤ منضَّد أو برَدٍ أو أُقاح (٣)

سُمى بتشبيه الجمع ـ للجمع فيه بين مشبّهات بها ثلاث

وكقوله ـ مرَّت بنا رأد الضّحى تحكى الغزالة والغزالا

---

(١) أى فقد جمع ضوء الشهب والليل المشبهين ، مع أطراف الأسنة والدروع المشبه بهما (٢) ومنه قوله

إنما النفس كالزجاجة والعل م سراج وحكمة الله زيت

فاذا أشرقت فانك حىّ وإذا أظلمت فانك ميت

(٣) أى كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم ، أو كالبرد أو كالاقاح فشبه الشاعر ثغر المحبوب بثلاثة أشياء اللؤلؤ (وهو الجوهر المعلوم) والبرد (وهو حب الغمام) والاقاح جمع أقحوان بضم الهمزة ، وهو زهر نبت طيب الرائحة ، حوله ورق أبيض ، ووسطه أصفر

تمرين

أذكر أحوال طرفي التشبيه فيما يأتى

علم لاينفع كدواء لاينجع . الصديق المنافق والابن الجاهل كلاهما كجمر الغضا . الحق سيف على أهل الباطل ، الحِمْيَة من الأنام كالحِمْيَة من الطَّعام

ياشبيه البدر حُسنا وضياءً ومنالا
وشبيهَ الغصن لينا وقواماً واعتدالا
أنت مثل الورد لونا ونسيما وملالا
زارنا حتى إذاما سرّنا بالقرب زالا

فكم معنى بديع تحت لفظٍ هناك تزاوُجٌ كلّ ازدواج
كراح فى زُجاج أو كروح سَرَت فى جسم معتدل المزاج
أخدٌّ وردٌ والعذار رياض والطَّرفُ ليلٌ والبياض نهارُ

﴿ ملخص القول فى تقسيم طرفى التشبيه ﴾

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه ـ أولا ـ إلى حسّيين وعقليين ومختلفين فالحسيان يشتركان

(١) فى صفة مبصرة كتشبيه المرآة بالنهار فى الاشراق ، والشعر بالليل فى الظلمة والسواد فى قول الشاعر :

فرعاء تسحبُ من قيامٍ شعرَها وتغيب فيه وهو ليل أسحمُ
فكأنها فيه نهارٌ مشرقٌ وكأنه ليلٌ عليها مُظلم (١)

(٢) أو فى صفة مسموعة ـ كتشبيه انقاض الرحل بصوت الفراريج فى قول الشاعر

كأن أصواتَ مِن إيغالهنَّ بنا أواخرِ المَيْسِ إنقاضُ الفراريجِ (٢)

(١) امرأة فرعاء . كثيرة الشعر . أسحم . أسود من سحم كتعب

(٢) أليس . الرحل . الانقاض . قيل صوت الفراريج الفشيل . وقيل صوت الحيوان

العمرُ والإنسان والدنيا همو كالظلّ في الإقبال والإدبار
الخدُّ وَرْدٌ والصُّدغ عالية والرِّيق خمرٌ والثَّغرُ مِنْ بَرَدِ
ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ شَعرٌ ووجهٌ وقدٌ
خمرٌ ودرٌ وَوَرْدٌ ريقٌ وثَغرٌ وخدٌ

وكتشبيه الأصوات الحسنة فى قراءة القرآن بالمزامير

(٣) أو فى صفة مذوقة . كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل . وكتشبيه الريق بالخمر فى قول الشاعر :

كان المُدَامَ وصَوْب الغمامِ وريحَ الخزامَى وذَوْبَ العَسَلْ
يَعَلُّ به بَرْدُ أنيابها إذا النجم وسْط السماء اعتَدَلْ (١)

(٤) أو فى صفة ملموسة . كتشبيه الجسم بالحرير فى قول ذى الرُّمة :

لها بَشَر مثلُ الحرير ومَنطقٌ رَخِيمُ الحواشى لا هراءٌ ولا نَذْرُ (٢)

(٥) أو فى صفة مشمومة . كتشبيه الريحان بالمسك ـ والنَّكهة بالعنبر

والعقليان — هما اللذان لم يدركا « هما ولا مادتهما » باحدى الحواس ـ كتشبيه السفر بالعذاب ، والضلال عن الحق بالعمى ، والاهتداء إلى الخير بالإبصار

والمختلفان — إما أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا — كتشبيه الغضب بالنار من التلظى والاشتعال ـ وكتشبيه الرأى بالليل فى قول الشاعر

الرأى كالليل مُسْوَدٌّ جوانِبُهُ والليل لا ينجلى إلا بإصباح

والنقض صوت الموتان كالرحل . والفراريج . جمع فروج وهو فرخ الدجاجة . وتقدير البيت . كأن أصوات أواخر الميس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج (١) المدام . الخمر . الصوب . من صاب المطر يصوب . إذا انصب ونزل . الخزامى . نبت طيب الرائحة . والعلل الشرب الثانى يقال علل بعد نهل (٢) رخيم الحواشى . مختصر الاطراف الهراء (بضم الهاء) المنطق الكثير وقيل المنطق الفاسد الذى لا نظام له

العمرُ مثل الضّيف أوْ كالطّيف ليسَ له إقامه
العيش نوْمٌ وَالمنيّةُ يقظة والمرء بينهما خيالٌ سارى
العلم فى الصدر مثلُ الشّمس فى الفَلَكِ والعقلُ للمرء مِثلُ التّاج للمَلِكِ
عزَماتهُ مثل النُّجوم ثواقباً لو لم يكن للثّاقبات أفُولُ
وكأنّ أجرام النُّجوم لوامعاً دُرَرٌ نُثِرن على بِساط أزرقِ

وإما أن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا ـ كتشبيه الكلام بالخلق الحسن وكتشبيه العطر بخلق كريم فى قول الصاحب بن عبّاد .

أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه (١)

وثانيا — إلى مفردين مطلقين . أو مقيدين . أو مختلفين ـ وإلى مركبين أو مختلفين .

فالمفردان المطلقان . كتشبيه السماء بالدُّهان فى الحمرة . فى قوله تعالى : فَإِذَا انشقت السَّماء فكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ (٢)

وكتشبيه الكشح بالْجَدِيل . والساق بالأُنبوب . فى قول امرئ القيس

وكشْحٍ لطيف كالجَدِيل مخصّر وساق كانبوب السّقِيّ المذلَّلِ (٣)

والمقيدان . بوصف . أو إضافة . أو حال . أو ظرف ـ أو نحو ذلك . كقولهم فيمن لايحصل من سعيه على فائدة : هو « كالراقم على الماء » فالمشبه هو الساعى على هذه الصفة . والمشبه به هو الراقم بهذا القيد . ووجه الشبه . التسوية بين الفعل والترك فى

---

(١) الثناء يشبه بالعطر لكنه اعتبر المعقول كأنه محسوس وجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغة ، وتخيّله شيئاً له رائحة وشبّه العطر به (٢) الدهان الجلد الاحمر

(٣) الكشح . ما بين الخاصرة الى الضلع (أقصر الاضلاع وآخرها) وهو من لدن السرّة الى المتن . الجديل الزمام المجدول من أدم .

كأنما النارُ فى تلهُّبها والفحم من فوقها يُغطِّيها
زِنجيّة شبَّكت أناملها من فوق نارٍ نُجة لِتُخفيها

الفائدة ـ وكقوله

والشمس من بين الأرائك قد حكَتْ سيفاً صَقيلاً فى يدِ رعشاءِ (١)

والمختلفان . والمشبه به هو المقيد : كما فى قول ذى الرّمة

قِفِ العِيسِ فى اطلال مَيَّةَ فاسألِ رُسوماً كأخلاق الرِّداءِ المُسَلْسَلِ (٢)

أو المشبه هو المقيد . كما فى قول الشاعر

كأنّ فِجاجَ الأرض وهى عريضةٌ على الخائف المطلوب كِفَّةُ حابِلِ (٣)

والمركبان . كقول الشاعر

البدرُ منتقب بغيم أبيض هو فيه بين تفجُّرٍ وتبلُّج
كتنفُّس الحسناء فى المرآة إذ كَمُلَت محاسنُها ولم تتزوّج

والمختلفان ـ والمشبه مفرد كقوله تعالى : مثَلُ الذينَ كفَروا بربِّهم أعمالُهم كرَمادٍ اشتَدَّتْ بِهِ الريحُ فى يَوْمٍ عاصف ـ وكقول الشاعر .

وقيل حبل من أدم أو شعر فى عنق البعير . مخصر . دقيق . السقى . البردى واحده سقية . المذلل الذى ذلل بالماء حتى طاوع كل من مدّ اليه يده . قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب فى شرحه لديوان امرئ القيس . شبه كشح المرأة بالزمام فى اللين والتثنّى واللطافة . وشبه ساقها ببردى قد نبت تحت نخل . والنخل تظله من الشمس والوجه بالبياض (١) الاراك شجر من الحمض يستاك بقضبانه ، واحده أراكة وجمعها أرائك (٢) العيس . كرام الابل وقيل الابل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفية . والاطلال جمع طلل . وهو الشاخص من آثار الديار . الرسم ما كان لاصقاً بالارض من آثار الديار . أخلاق . جمع خلَق (بفتح اللام) وهو الثوب البالى . المسلسل . الرقيق من تسلسل الثوب لبس حتى رقّ (٣) الفجاج جمع فج الطريق الواسع الواضح بين جبلين . الكفة ما يصاد به (الشبكة) الحابل الصياد

يا صاحِبيَّ تَقصَّيا نظريكُما تَريا وُجوهَ الأرض كيف تُصوَّرُ

أغرُّ أبلجُ تامُّ الهُداةُ به كأنَّهُ علم فى رأسه نار

أو المشبه به مفرد . كقول أبى الطيب المتنبى

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها فى نفوسهم شِيَمُ

شبه إشراق الأعراض والوجوه باشراق الشيم (الاخلاق الطيبة) فاشراق الوجوه ببياضها ، وإشراق الاعراض بشرفها وطيبها :وكقول أبى تمام يصف الربيع

يا صاحبيَّ تقصَّيا نظريكما تَرَيا وجوه الارض كيف تُصوَّر (١)

تريا نهاراً مشمساً قد شابَهُ زَهْرُ الرُّبا فكأنما هو مُقْمِر

يريد أن النبات لكثرته وتكاثفه مع شدة خضرته قارب لونه السواد . ونقص من ضوء الشمس حتى كأنه ليل مقمر . فشبه النهار المشمس الذى قد خالطه زهر الربا بالليل المقمر ـ والاول مركب ـ والثانى مفرد مقيد

وثالثا ـ إلى (١) ملفوف . وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولا على طريق العطف أو غيره ، ثم بالمشبهات بها كذلك ـ كقول الشاعر

ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ شعرٌ ووجه وقدُّ

خمرٌ ودرٌّ وورد ريقٌ وثغرٌ وخدُّ

شبّه الليل بالشعر ، والبدر بالوجه ، والغصن بالقد ، فى البيت الأول . والخمر بالريق والدر بالثغر . والورد بالخد ، فى البيت الثانى . وقد ذكر المشبهات أولا ـ والمشبهات بها ثانياً كما ترى

(٢) مفروق . وهو ما أوتى فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر . كقول أبى نوّاس

---

(١) تقصّيا . من تقصّيت الشئ بلغت أقصاه أى اجتهدا فى النظر . تصور تتصور . شابه . خالطه . الربا . جمع ربوة وهى المكان المرتفع وخص زهر الربا لانه أنضر وأشد خضرة

تريا نهاراً مُشمساً قد شابَه (١) زهرُ الرُّبى فكأنما هو مُقمِرُ
وكأنَّ مِحمرَّ الشقيـ ق اذا تَصوَّب أو تصعَّد (٢)

تبكى فتذرى الدرّ من نرجس وتمسحُ الوردَ بعنّاب (١)

شبه الدمع بالدر لصفائه . والعين بالنرجس لما فيه من اجتماع السواد بالبياض والوجه بالورد .

ورابعا ـ إلى (١) تشبيه التسوية . وهو ما تعدد فيه المشبه ـ كقول الشاعر

صدغُ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى (٢)

شبه فى الأول صدغ الحبيب وحاله هو بالليالى فى السواد . وفى الثانى شبه ثغر الحبيب ودموعه باللآلى فى القدر والاشراق

(٢) تشبيه الجمع . وهو ما تعدد فيه المشبه به كقول البُحترى :

بات ندمانى حتى الصباح أغيدُ مجدُولُ مكانِ الوِشاحْ
كأنما يبسِمُ عن لؤلؤ منضّدٍ أو بَرَد أو أقاحْ (٣)

شبه ثغره بثلاثة أشياء باللؤلؤ والبرد والاقاح

---

(١) أى قد خالط هذا النهار زهر الربا فكأنما هو ليل مقمر

(٢) العناب ـ شجر له حب كحب الزيتون وأحسنه الأحمر الحلو (٢) الصدغ (بضم الصاد) ما بين العين والاذن . والشعر المتدلى على هذا الموضع هو المراد هنا والثغر تطلق على الفم ، وعلى الاسنان فى منابتها والمراد الثانى (٣) الأغيد . الناعم البدن ، المجدول . المطوى غير المسترخى ـ والمراد لازمه . وهو ضامر البطن والخصرتين الوشاح شبهُ قلادة ينسج من جلد عريض يرصع بالجواهر تشدّه المرأة فى وسطها أو على المنكب الأيسر معقوداً تحت الأبط الأيمن للزينة . المنضد . المنظم . البرد . حب الغمام . الاقاح نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء . وأوراق زهره مفلجة صغيرة ، واحدته قُحوانة (بضم القاف)

أعلامُ ياقوت نُشِر ... ن على رِماح مِنْ زَبَرْجد(١)

كأن مِثارَ النقع فوق رُؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُه(٢)

خودٌ كأنَّ بنانَها ... فى خُضرة النَّقش المزرَّدْ (٣)

سَمك من البلّور فى ... شبك تكوّن من زَبَرْجَدْ

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابساً (٤) ... لدى وكرها العُنّابُ والحشفُ البالى

مَن يصنع الخيرَ مع من ليس يَعرفه ... كواقد الشَّمع فى بيت لِعميان (٥)

المبحث الرابع

﴿ فى تقسيم التشبيه باعتبار وَجه الشّبه ﴾

---

(١) فكل من الاعلام والياقوت والزبرجد والرمح محسوس على انفراده . لكن المركب الذى مادته هذه الأمور ليس بمحسوس لانه غير موجود — والحس خاص بالموجودات — فالمشبه مفرد وهو الشقيق . والمشبه به مركب وهو الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤوس أجرام خضر مستطيلة

(٢) شبهت هيئة السيوف الحاصلة من علوها ونزولها بسرعة فى وسط الغبار بهيئة كواكب تتساقط فى ليل مظلم (٣) أى أن أصابعها المعبّر عنها بالبنان قد نقش عليها بالوشم ماهو كالشبك الزبرجدى أى المحيط ببياض أصابعها التى هى كالبلور — فالمفردات كل واحد منها يدرك بالحس — والمركب غير موجود

(٤) يريد الشاعر وصف العقاب بكثرة اصطياده الطيور — فشبه الطرى من قلوب الطير بالعناب — واليابس منها بالحشف البالى

(٥) ففيه التشبيه الملفوف حيث جمع فى الشطر الأول صنيع الخير ومعرفته وهما متلازمان — ثم أتى فى الشطر الثانى بالمشبه بهما أعنى وقود الشمع والنظر إلى نوره

وَجهُ الشّبه هو الوصف الخاص[1] الذى يُقصَد اشتراك الطّرفين فيه كالكرم ـ فى نحو : خليل كحاتم

---

(١) إمّا حقيقة كالبأس فى قولك (زيد كالأسد) وإمّا تخيلا كما فى قوله

يامن له شعر كحظّى أسود جسمى نحيل من فراقك أصفر

فان وجه الشبه فيه بين الشعر والحظ هو السواد . وهما يشتركان فيه ـ لكنه يوجد فى المشبه تحقيقا . ولا يوجد فى المشبه به الا على سبيل التخييل ، لأنه ليس من ذوات الألوان . ثم اعلم أن وجه الشبه ـ إما داخل فى حقيقة الطرفين وذلك كما فى تشبيه ثوب بآخر فى جنسهما أو نوعهما أو فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذلك فى كونهما كتانا أو قطنا ـ و إما خارج عن حقيقتهما وهو ما كان صفة لهما (حقيقة) وهى قد تكون حسية كالحمرة فى تشبيه الخد بالورد ، وقد تكون عقلية كالشجاعة فى تشبيه الرجل بالأسد ـ أو (إضافية) وهى ما ليست هيئة متقررة فى الذات بل معنى متعلقا بها كالجلاء فى تشبيه البيّنة بالصبح . ثم ان وجه التشبيه قد يكون واحداً وقد يكون بمنزلة الواحد (لكونه مركبا من متعدد) وقد يكون متعدداً ـ وكل من ذلك قد يكون حسيا وقد يكون عقليا . أما الواحد ـ فالحسى منه كالحمرة فى تشبيه الخد بالورد ، والعقلى كالنفع فى تشبيه العلم بالحياة ـ وأما المركب فالحسى منه قد يكون مفرد الطرفين ، كما فى قوله

وقد لاح فى الصبح الثُّريا كما ترى كعنقود مُلاّحيةً حين نوّرا

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التئام الحبب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم . وكلا الطرفين مفرد ، وهما الثريا والعنقود . وقد يكون مركب الطرفين كما فى قوله

والبدر فى كبد السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع صورة بيضاء مشرقة مستديرة فى رقعة زرقاء مبسوطة . وكلا الطرفين مركب أولهما من البدر والسماء ـ والثانى من

وينقسم التشبيه باعتبار (وجه الشبه) إلى

١ تمثيل ـ وهو ما كان وجه الشّبه فيه صورةً منتزعةً من متعدّد، كقوله

وما المرء إلا كالشّهاب وضوئه يُوافي تمام الشّهر ثم يَغيب

فوجه الشبه سُرعة الفناء ـ انتزعه الشّاعر من أحوال القمر المتعدّدة اذ يبدو هلالاً ، فيصير بدراً ، ثم ينقص حتى يُدركه المَحاق

(ويسمّى التشبيه تمثيلا)

٢ وغير تمثيل ـ وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورةً منتزعةً من متعدّد نحو وجهه كالبدر — وكقول الشاعر

لا تطلبنّ بآلة لك رتبة قَلَمُ البليغ بغير حظّ مِعْزَلُ

فوجه الشبه قلّة الفائدة وليس منتزعا من متعدّد

٣ ومفصلٌ ـ وهو ما ذكر فيه وجه الشبه نحو : طبعُ فريد كالنّسيم رِقّةً — ويده كالبحر جوداً — وكلامه كالدُّر حسنا — وكقول ابن الرّومى

شبيهُ البدرِ حسنا وضياء ومنالا وشبيه الغصن ليناً وقواما واعتدالاً

٤ ومجمل ـ وهو ما ليس كذلك — نحو : النحو فى الكلام كالملح فى الطعام وكقوله

انما الدنيا كبيتٍ نسجهُ من عنكبوتْ

الدرهم والديباجة . وقد يكون مختلف الطرفين كقوله

وحدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقّطا بالعنبر

فان وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انبساط رقعة حمراء قد نقطت بالسواد منثوراً عليها . والمشبه مفرد وهو الشقيق — والمشبه به مركب من الارجوان والعنبر . وكقوله

٥ وقريبٌ مبتذلٌ ـ وهو ماينتقل فيه الذِّهن من المشبه الى المشبه به من غير احتياج إلى شدّة نظر وتأمُّل لظهور وجهه بادىءَ بدْءٍ

وذلك كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة، أو كتشبيه الوجه بالبدر فى الاشراق والاستدارة .

وقد يُتصرّف فى القريب بما يخرجه عن ابتذاله الى الغرابة: كقول الشاعر

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا الاّ بوجه ليس فيه حياء

فان تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتذل ، ولكن حديث الحياء أخرجه الى الغرابة

وقد يخرج من الابتذال إلى الغرابة بالجمع بين عدّة تشبيهات كقول الشاعر

لا تعجبوا من خاله فى خده كل الشقيق بنقطة سوداء

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطة سوداء مستديرة فى وسط رقعة حمراء مبسوطة . والمشبه مركب من الخال والخد ـ والمشبه به مفرد وهو الشقيق والعقلى من المركب كما فى قوله

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر منه طمعا فى الانتفاع به ـ ووجه الشبه مركب من هذه المتعددات فى الجميع والرمضاء الأرض التى أسخنتها حرارة الشمس الشديدة، والمراد بعمرو هنا هو جساس ابن مُرّة البكرى، يقال انه لما رمى كُليب بن ربيعة التغلبى وقف على رأسه فقال له : يا عمرو أغثنى بشربة ماء ـ فأتمّ قتله

وأما المتعدد ـ فالحسى منه كما فى قوله

مهفهف وجنتاه كالخمر لونا وطعما

والعقلى كالنفع والضرر فى قوله

كأنما يبسُم عن لؤلؤ مُنضّد أو بَرَد أو أقاح

أو باستعمال شرط ـ كقوله

عزماته مثل النّجوم ثواقباً لو لم يكن للثّاقبات أفولُ

٦ وبعيد غريبٌ ـ وهو ما احتاج فى الانتقال من المشبه الى المشبه به الى فكر ودِقّة نَظَر لخفاء وجهه فى بادئ الرأى ـ كقوله

والشّمس كالمرآة في كفّ الأشَل

(فان الوجه فيه هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق، والحركة السّريعة المتّصلة مع تموُّج الاشراق. حتى ترى الشعاع كأنه يهمّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة؛ ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض)

وحكم وجه الشبه ـ أن يكون فى المشبه به أقوى منه فى المشبه وإلاّ فلا فائدة فى التشبيه

طلق شديد البأس راحته كالبحر فيه النّفع والضّرر

فان وجه الشبه فيهما متعدد وهو اللون والطعم فى الأول ـ والنفع والضرر فى الثانى ـ وقد يجئ المتعدد مختلفا كما فى قوله

هذا أبو الهيجاء فى الهيجاء كالسيف فى الرونق والمضاء

فان وجه الشبه فيه هو الرونق وهو حسى ـ والمضاء وهو عقلى. وأبو الهيجاء لقب عبد الله بن حمدان العدوى والهيجاء من أسماء الحرب.

واعلم أن الحسى لايكون طرفاه إلا حسيين ـ وأما العقلى فلا يلزمه كونهما عقليين ـ لان الحسى يدرك بالعقل، خلافا للعقلى فانه لا يدرك بالحس

المبحث الخامس

« فى أدوات التشبيه »

أدوات التشبيه — هى ألفاظ تدلّ على معنى المُشابهة، كالكاف، وكأنّ ومثل، وشبه، وغيرها، ممّا يؤدّى معنى التشبيه « كالمُضاهاة والمحاكاة والمُشابهة، والمماثلة، ونحو، وكذا ما يُشتقّ من لفظى « ماثل وشابه » أو ما يُرادفهما فى المعنى

وهى قد تحذف نحو : اندفع الجيش اندفاع السَّيل، أى كاندفاعه

والأصل فى ـ الكاف، ومِثل، وشِبه ـ أن يليها المشبه به [1]

والأصل فى كأنّ، وشابه، وماثل ـ وما يرادفها أن يليها المشبه كقوله

كأنّ الثُّرَيَّا راحةٌ تشبِرُ الدُّجى لتنظرَ طال الليل أم قد تعرَّضا

وكأنّ، تفيد التشبيه اذا كان خبرها جامداً نحو ـ على كالأسد

وتفيد الشّك اذا كان خبرها مشتقاً نحو ـ كأنك فاهم ـ وكقوله

كأنَّكَ مِن كلِّ النفوس مركَّبٌ فأنت إلى كل النفوس حَبيبُ

وقد يُغنى عن أداة التشبيه « فعلٌ » يدلُ عليه، ولا يعتبرُ أداة فان كان الفعل لليقين ـ أفاد قُربَ المشابَهة ـ نحو : (فَلما رَأَوْه عارضاً مُستقبِل أَوْدِيَتِهِمْ قالوا هذَا عارِضٌ مُمْطِرُنَا) ونحو رأيت الدنيا سرَابًا غرَّاراً

---

(١) وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركبا كقوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح) فان المراد تشبيه حال الدنيا فى حسن نضارتها وبهجة رواتها فى المبدإ

وان كان الفعل للشك أفاد بُعدَها ـ نحو : (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُم لؤْلُؤًا مَنْثُوراً) ونحو : حسبت الفيل جبلا ـ وكقوله

قَوْمٌ إذَا لبسوا الدُّرُوعَ حسبتها سُحُباً مزَرَّدَةً على أقمار

(وينقسم التشبيه) باعتبار أداته الى

(ا) التشبيه المؤكد — وهو ما حذفت أداته كقول الشاعر

أنت نجم فى رفعة وضيَاء تجتليكَ العيونُ شرقاً وغرباً

(ب) التشبيه المرسل ـ [1] وهو ما ذكرت فيه الاداة كقول الشاعر

إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت

ومنَ المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه كقول الشاعر

وَالريح تَعْبَثُ بالغصون وقد جرَى ذَهبُ الأصيلِ [2] على لُجينِ الماء

أى أصيلٌ كالذَّهب على ماء كاللُّجين .

(ج) التشبيه البليغ ـ وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه [3] كما فى قوله

فاقضوا ما ربكم عجالاً إنما أعماركم سفرٌ منَ الأسفار

وذهاب حسنها وتلاشى رونقها شيئا فشيئا فى الغاية بحال النبات الذى يحسن من الماء فتزهو خضرته . ثم ييبس شيئا فشيئا ثم يتحطم فتطيره الرياح . فيصير كأن لم يكن شيئا مذكوراً

(١) وسمى مرسلا لأرساله عن التأكيد

(٢) الأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب ـ واللُّجين الفضة

(٣) ومن التشبيه البليغ المصدر المضاف المبين للنوع نحو ، راغ روغان الثعلب ومنه أيضا اضافة المشبه به للمشبه نحو لبس فلان ثوب العافية ـ كما ذكرناه

المبحث السادس

﴿ فى فوائد التشبيه ﴾

فوائد التشبيه تعود « فى أكثر المواضع » الى المشبه ـ وهى إمّا

١ بيان حاله ـ وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف ـ كقول الشاعر

إذا قامت لحاجتها تَثَنَّتْ كأنّ عظامها من خيزران

(شبه عظامها بالخيزران بياناً لما فيها من اللّين)

٢ أو بيان إمكان حاله ـ وذلك حين يُسند اليه أمرٌ مُستغرب لا تزول غرابته الاّ بذكر شبيه له ـ كقوله

ويلاهُ إن نظرتْ وان هى أعرضتْ وقعُ السِّهام ونَزعهنّ أليمُ

(شبه نظرها بوقع السهام ، وإعراضها بنزعها : بياناً لإمكان إيلامها بهما جميعا)

٣ أو بيان مقدار حاله قوة وضعفا ـ وذلك اذا كان المشبّه معروف الصِّفة قبل التّشبيه معرفة اجمالية ، وكان التشبيه يُبيِّن مقدار هذه الصفة ـ كقوله

كأنّ مِشيتها من بيت جارتها مرُّ السَّحاب لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وكتشبيه الماء بالثلج فى شدة البرودة — وكقوله

فيها اثنتان وأربعون حلُوبَةً سُوداً كخافية الغُراب الأسحَم

(شبّه النِّياق السُّود بخافية الغراب بياناً لمقدار سوادها

٤ أو تقرير حاله فى نفس السامع بابرازها فيما هى فيه أظهر ، كما اذا كان

ما أُسند الى المشبه يحتاج الى التثبيت والايضاح بالمثال ـ كقوله

إن القلوبَ إذَا تنافر وُدُّها مثل الزجاجة كسرها لا يُجبرُ

(شبّه تنافر القلوب بكسر الزجاجة تثبيتاً لتعذُّر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأُنس والمودّة)

٥ أو بيان إمكان وجوده (وانه ممكن الحصول) كقوله

فان تَفُقِ الأَنام وأنت منهم فانّ المسك بعض دم الغزال [1]

٦ أو مدحه وتحسينه — كقول الشاعر

كأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ اذا طلعتْ لم يَبدُ منهنّ كوكبُ

٧ أو تَشويهه وتقبيحه — كقول الآخر

وإذا أشارَ مُحدِّثاً فكأنه قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطم

٨ أواستطرافه «أى عدّه طَريفاً حديثاً» إمّا لإبرازه فى صورة المتنع عادة كما فى تشبيه فحم فيه جمر متّقد ؛ ببحر من المسك موجه بالذهب.

وإمّا لندور حضور المشبه به فى النفس عند حضور المُشبه ، كقوله

أنظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر [2]

---

(١) أى انه لا استغراب فى فوقانك للانام مع أنك واحد منهم ـ لان لك نظيراً وهو المسك فانه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء ـ ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيها ضمنيا ـ والتشبيه الضمنى هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به فى صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان فى التركيب لافادة أن الحكم الذى أسند الى المشبه ممكن ـ نحو المؤمن مرآة المؤمن

(١) الحمولة ما يحمل فيه ويوضع ـ والمقصد من التشبيه وجود شئ أسود داخل أبيض

﴿ تشبيه على غير طريقة الاصلية ﴾

(١) قد يورد التشبيه ضمناً من غير أن يُصرَّح به ويُجعل فى صورة برهان على الحكم الذى أسند إلى المشبّه ـ كقول المتنبى

مَن يَهُنْ يسهل الهوان عليه ما لجُرح بميّت إيلامُ

(أى إن الذى اعتاد الهوان يسهل عليه تحمله ولا يتألم له . وليس هذا الادعاء باطلا . لان الميت اذا جُرح لا يتألم)

وفى ذلك تلميح بالتشبيه فى غير صراحة وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة

(٢) قد يُعكس التشبيه ، فيُجعل المشبه مشبها به وبالعكس[١] فتعود فائدته الى المشبه به لادّعاء أن المشبه أتمّ وأظهر من المشبه به فى وجه الشبه ويسمى ذلك بالتشبيه المقلوب[٢] أوالمعكوس ـ نحو: كأن ضوء النَّهار

---

(١) التشبيه المقلوب ويسمى المنعكس هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة ، وهذا النوع جار على خلاف العادة فى التشبيه ، ووارد على سبيل الندور .

وانما يحسن فى عكس المعنى المتعارف كقول البحترى

فى طلعة البدر شئ من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنّيها

والمتعارف تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور . والقامات بالقضب فى الاستقامة والنثنى لكنه عكس ذلك مبالغة ـ هذا إذا أريد الحاق كامل بناقص فى وجه الشبه . فان تساويا حسن العدول عن التشبيه إلى المشابهة تباعدا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر

(٢) يقرب من هذا النوع ماذكره الحلبى فى كتاب حسن التوسل وسماه « تشبيه التفضيل » وهو أن يشبه شئ بشئ لفظا أو تقديرا . ثم يعدل عن التشبيه لادعاء

جبينه ـ ونحو : كأنّ نشر الرّوض حُسنُ سيرته ـ ونحو : كأنّ الماء فى الصفاء طباعه ـ وكقول محمد بن وُهَيب الحِمْيَرِى

وبَدا الصَّباحُ كأنّ غُرَّتَه وَجهُ الخليفة حين يُمتَدحُ

(شبه غرّة الصّباح بوجه الخليفة إيهاما أنه أتمّ منها فى وجه الشبه وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان والابداع)[٣] وكقوله تعالى حكاية عن الكفار (إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) فى مقام أن الرّبا مثل البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الرّبا عندهم أحلُّ من البيع ، لان الغرض الرّبح وهو أثبَتُ وجوداً فى الرّبا منه فى البيع ، فيكون أحق بالْحِلِّ عندهم .

المبحث السابع

﴿ فى تقسيم التشبيه باعتبار الغرض الى مقبول والى مردود ﴾

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض الى حسن مقبول ، والى قبيح مردود

١ فالحسن المقبول ـ هو ماوفى بالأغراض السابقة ، بأن يكون المشبه به أعرفَ من المشبه فى وجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه أو بيان المقدار . أو أن يكون أتم شئ فى وجه الشبه إذا قصد الحاق الناقص بالكامل . أو أن يكون فى بيان الامكان مسلّم الحكم ومعروفاً عند المخاطب إذا كان الغرض بيان امكان الوجود ، وهذا هو الأكثر فى التشبيهات إذ هى جارية على الرَّشاقة سارية على الدِّقة والمبالغة

أن المشبه أفضل من المشبه به ـ كقوله

حسبت جمالها بدراً منيراً وأين البدر من ذاك الجمال

٢ والقبيح المردود ـ هو مالم يفِ بالغرض المطلوب منه لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به : أو مع وجوده لـكنه بعيد .

تنبيهات

(الأول) بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض فى المبالغة ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة

« ا » أعلاها وأبلغها ما حذف فيها الوجه والاداة نحو على أسد ـ وذلك انك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الاداة ـ والتشابه فى كل شئ بحذف الوجه ولذا سمى هذا تشبيها بليغا (١)

« ب » المتوسطة ما تحذف فيها الاداة وحدها ، كما تقول (على أسد شجاعة) أو يحذف وجه الشبه ـ فتقول على كالاسد . و بيان ذلك انك بذ كرك الوجه حصرت التشابه فلم تدع للخيال مجالا فى الظن بأن التشابه فى كثير من الصفات — كما أنك بذ كر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به ولم تترك بابا للمبالغة

« ج » أقلها ماذ كر فيها الوجه والأداة وحينئذ فقدت المزيتين السابقتين

(الثانى) قد يكون الغرض من التشبيه حسنا جميلا ، وذلك هو النمط الذى تسمو اليه نفوس البلغاء وقد أتوا فيه بكل حسن بديع كقول ابن نباتة فى وصف فرس أغرّ محجّل

وكأنما لطم الصباح جبينه فاقتصّ منه فخاض فى أحشائه

---

(١) البليغ من أنواع التشبيه هو البعيد الغريب . فـكلما كان وجه الشبه قليل الظهور يحتاج فى ادراكه إلى إعمال الفـكر كان ذلك أفعـل فى النفس وأدعى إلى تأثرها واهتزازها. وتتفاوت قوة المبالغة الحاصلة من التشبيه باختلاف الصور التى يوضع فيها . فأضعف تلك الصور فى المبالغة ما ذكرت فيه أركان التشبيه جميعها . وأقواها فيها ما حذف فيه وجـه الشبه وأداته مع ذ كر المشبه نحو ـ على كالأسد . و يتوسط بين هذين الطرفين ما حذفت فيه الأداة وحدها . أو وجه الشبه وحده

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم البيان لغة واصطلاحاً . ؟ ما هو التشبيه ؟ . ـ ما أركان

وقد لا يوفّق المتكلم إلى وجه الشبه ، أو يصل اليه مع بعد ـ وما أخلق مثل هذا بالاستكراه وأحقه بالذم لمافيه من القبح والشناعة ـ بحيث ينفرمنه الطبع السليم

(الثالث) عُلمَ مما سبق أن

١ ـ التشبيه المرسل ـ ما ذكرت فيه الأداة

٢ ـ التشبيه المؤكد ـ ما حذفت منه الاداة

٣ ـ التشبيه المجمل ـ ما حذف منه وجه الشبه

٤ ـ التشبيه المفصل ـ ما ذكر فيه وجه الشبه

٥ ـ التشبيه البليغ ـ ما حذفت منه الأداة . ووجه الشبه

٦ ـ التشبيه الضمنى ـ تشبيه لا يُوضع فيه المشبه والمشبه به فى صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمحان فى التركيب

وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذى اسند الى المشبه ممكن (١)

---

(١) كقوله لاتُنكرى عَطل الكريم من الغنى . فالسيل حرب للمكان العالى

أى لا تنكرى خلو الرجل الكريم من الغنى . فان ذلك ليس عجبا لان قمم الجبال وهى أعلى الاماكن لا يستقر فيها ماء السيل « فهاهنا يلمح الذكى تشبيها » ولكنه لم يضع ذلك صريحا بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى فى صورة برهان فيكون هذا التشبيه على غير طرقه الأصلية بحيث يورد التشبيه ضمنا من غير أن يصرح به ويجعل فى صورة برهان على الحكم الذى أسند إلى المشبه ، كما سبق شرحه

وقد يراد إيهام أن المشبه والمشبه به متساويان فى وجه الشبه فيترك التشبيه ادعاء بالتساوى دون الترجيح

التشبيه ؟ . طرفا التشبيه حسيّان أم عقليان ؟ . ما المراد بالحسّى ؟ . ما هو التشبيه الخيالى ؟ . ما المراد بالعقلى ؟ ـ ما هو التشبيه الوهمى ؟ . ـ ماهو وجه الشبه ؟ . ـ ما هى أدوات التشبيه ؟ . ـ الاصل فى أدوات التشبيه أن يليها المشبه أو المشبه به ؟ . ـ متى تفيد كأن التشبيه ؟ . ماهو التشبيه البليغ ؟ . ماهو التشبيه الضمنى ؟ . ما هو التشبيه المرسل . كم قسما التشبيه باعتبار طرفيه ؟ كم قسما التشبيه باعتبار تعدد طرفيه ؟ ماهو التشبيه الملفوف ؟ ماهو التشبيه المفروق ؟ ماهو تشبيه التسوية ؟ . ما هو تشبيه الجمع ؟ . كم قسما التشبيه باعتبار وجه الشبه ؟ . ماهو تشبيه التمثيل ؟ . ماهو غير التمثيل ؟ ماهو التشبيه المفصل ؟ . ماهو التشبيه المجمل ؟ . كم قسما التشبيه باعتبار الغرض منه .

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشتريت ثوبا أحمر كالورد ـ فى هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل ـ المشبه ثوبا . والمشبه به الورد . وهما حسيان مفردان . والاداة الكاف . ووجه الشبه الحمرة فى كل ـ والغرض منه بيان حال المشبه

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا ... أتى الربيع أتاك النور والنُّور

فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة ... والنبت فيروزج والماء بلور

« الارض ياقوتة » تشبيه بليغ مجمل المشبه الارض . والمشبه به ياقوتة ـ وهما حسيان مفردان ووجه الشبه محذوف وهو الخضرة فى كل . والاداة محذوفة والغرض منه تحسينه « والجو لؤلؤة ، والنبت فيروزج « والماء بلور » كذلك وفى البيت كله تشبيه مفروق ـ لأنه أتى بمشبه ومشبه به وآخر وآخر

العمر والانسان والدنيا هموْ ... كالظل فى الاقبال والادبار

فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل . المشبه العمر والانسان والدنيا ، والمشبه به الظل

والمشبه بعضه حسى و بعضه عقلى . والمشبه به حسى . والكاف الاداة . ووجه الشبه الاقبال والادبار . والغرض تقرير حاله فى نفس السامع

كم نعمة مرت بنا وكأنها فرس يهرول أو نسيم يسارى

فيه تشبيه جمع مرسل مجمل . المشبه نعمة . والمشبه به فرس يهرول . أو نسيم سارى ، وهما حسيان . وكأن الاداة . ووجه الشبه السرعة فى كل . والغرض منه بيان مقدار حاله

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف . المشبه شعر وهو حسى . والمشبه به ليل وهو عقلى والاداة محذوفة ، ووجه الشبه السواد فى كل ـ والغرض منه بيان مقدار حاله .

وفى الثانى ـ المشبه وجه . والمشبه به بدر . وهما حسيان . ووجه الشبه الحسن فى كل والاداة محذوفة ـ والغرض تحسينه . وفى الثالث المشبه قدّ . والمشبه به غصن . وهما حسيان . ووجه الشبه الاعتدال فى كل،والاداة محذوفة ، والغرض بيان مقداره، هذا

وان شئت فقل هـذا تشبيه مقلوب بجعل المشبه به مشبها ، والمشبه مشبها به لغرض المبالغة بأن تجعل الليل مشبها والشعر مشبها به

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاّحية حين نورا

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل،المشبه هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة مستديرة منيرة ـ والمشبه به هيئة عنقود العنب المنور ، والجامع الهيئة الحاصلة من اجتماع أجرام منيرة مستديرة فى كل ـ والاداة الكاف ، والغرض منه بيان حاله

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتى

أَلورد فى أَعلاَ الغصون كأَنه مَلكٌ تَحُفُّ به سَرَاة جنوده

إذَا ارتجل الخطاب بَدَا خليجٌ بفيه يمدّه بحرُ الكلام

كلام بل مدام بل نظام ... من الياقوت بل حَبُّ الغمام
ياصاحبيَّ تيقظاً من رقدة ... تُزرِي على عقل اللبيب الاكيس
هذى المجرَّة والنُّجوم كأنها ... نهر تدفّق فى حديقة نرجس
وكأنَّ الصُّبح لما لاح من تحت الثُّرَيَّا
ملك أقبل فى التَّا ... ج يفدى ويحيّا
إنما النفس كالزُّجاجة والعلـ ... ـم سراج وحكمة الله زيت
فاذا أشرقت فانك حيٌّ ... وإذا أظلمت فانك ميت
وغير تقيٍّ يأمر النَّاس بالتُّقى ... طبيبٌ يداوى النَّاس وهو مريض
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشّفت ... له عن عَدُوّ فى ثياب صديق
جمرة الخدّ أحرقت عنبر الخا ... لِ فمِن ذلك العذارُ دخانُ
كالبدر من حيث التفتّ رأيته ... يهدى الى عينيك نورا كافيا
وأشرقَ عن بِشر هو النّور فى الضحا ... وصافى بأخلاق هِيَ الطَّلُّ فِي الصّبح

بلاغة التشبيه

وبعض ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحْدَثِينَ

تَنْشأُ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من الشئ نفسه إلى شئ طريف يُشبهه ، أو صورةٍ بارعة تمثّله ، وكلّما كان هذا الانتقال بعيداً قليل الخطور بالبال ، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال ، كان التشبيه أروعَ للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها

فإذا قلتَ فلانٌ يشبه فلاناً في الطول ، أو أنَّ الأرض تُشبه الكُرة

فى الشكل لم يكن فى هذه التشبيهات أثر للبلاغة ، لظهور المشابه وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجُهْد أدبىّ ، وخلوها من الخيال

وهذا الضرب من التشبيه يقصد به البيان والإيضاح وتقريب الشئ الى الأفهام ، وأكثرُ مايُستعمل فى العلوم والفنون

ولكنك تأخذك رَوْعة التشبيه حينما تسمع قول المعرى يَصفُ نجماً

يُسْرِعُ اللمْحَ فِي احْمِرَارٍ كما تُسْـ ـرِعُ فى اللَّمحِ مُقْلَةُ الغَضْبَانِ (١)

فإنّ تشبيه لمحاتِ النجم وتألُّقِه مع احمرار ضوئه بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة التى لاتنقاد إلاّ لأديب ، ومن ذلك قول الشاعر

وكَأن النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَنٌ لاَحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

فإنّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين حالتين ـ ما كان يخطر بالبال تشابههما ، وهما حالة النجوم فى رُقعة الليل : بحال السنن الدّينية الصحيحة متفرقة بين البدع الباطلة

ولهذا التشبيه رَوْعَة أخرى جاءت من أنّ الشاعر تخيّل أن السنن مضيئة لمّاعة ، وأنّ البدع مظلمة قاتمة

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبى

بُلِيتُ بُلَى الاطْلاَلِ إنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فى التُّربِ خَاتَمُه

يدعو على نفسه بالبِلى والفَنَاء ، اذا هو لم يقف بالأطلال ، ليذكر عهد من كانوا بها ، ثم أراد أن يصوّر لك هيئة وقوفه فقال كما يقف شَحِيح فَقَدَ خاتمَه فى التراب ، من كان يُوَفَّق إلى تصوير حال الذاهل المتحيّر المحزون ، المطرق برأسه ، المنتقل من مكان إلى مكان فى اضطراب ودهشة بحال شحيح فقد فى

التراب خاتماً ثميناً

هذه بلاغة التشبيه من حيث مبلغُ طرافته وبُعد مرماه ومقدار ما فيه من خيال ، أما بلاغته من حيث الصورةُ الكلامية التي يوضع فيها فتتفاوتة ايضاً — فأقلّ التشبيهاب مرتبة فى البلاغة ماذكرت أركانه جميعها لأن بلاغة التشبيه مبنيّة على ادعاء أن المشبّه عينُ المشبه به ، ووجود الأداة ووجه الشبه معاً يحولان دون هذا الادعاء . فإذا حذفت الأداة وحدَها ، أو وجه الشبه وحدَه ارتفعت درجة التَّشبيه فى البلاغة قليلاً لأن حذف أحد هذين يقوّى ادعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية أمّا أبلغ أنواع التشبيه « فالتشبيه البليغ » لأنه مبنىٌ على ادعاء أن المشبه والمشبه به شئ واحد

هذا ـ وقدجرَى العرب والمُحدَثُون على تشبيه الجواد بالبحر والمطر والشجاع بالأسد ، والوجه الحَسَن بالشمس والقمر ، والشَّهْمِ الماضى فى الأمور بالسيف ، والعالى المنزلة بالنجم ، والحليم الرزين بالجبل ، والأَمانِيِّ الكاذبة بالأَحلام ، والوجه الصَّبيح بالدينار ، والشَّعر الفاحم بالليل والماء الصافى باللُّجَيْنِ ، والليل بموج البحر ، والجيش بالبحر الزاخر ، والْخَيْلِ بالرِّيح والبَرْق ، والنُّجُوم بالدُّرر والأزهار ، والأسنان بالبَرَد واللؤلؤ والسُّفُنِ بالجبال ، والجداول بالحيّات الملتوية ، والشَّيْبِ بالنهار ، ولَمعِ السيوف وغرَّة الفرس بالهلال ، ويشبهون الجبانَ بالنَّعامة والذُّبابة ، واللَّئيمَ بالثعلب والطائِشَ بالفَرَاش ، والذليل بالوَتِدِ ، والقاسِىَ بالحديد والصخر ، والبليدَ بالحمار ، والبَخِيلَ بالارض المُجْدِبَةِ

وقد اشتهر رجال من العرب بخِلَال محمُودة، فصاروا فيها أعلاماً فجرى التّشبيه بهم ؛ فيشبّه الوفيُّ بالسموءل[١] ؛ والكريمُ بحاتم ؛ والعادلُ بعُمَر[٢] والحليمُ بالأحنَف[٣] ؛ والفَصيحُ بسَحْبَان ؛ والخطيبُ بقسٍّ[٤] والشجاع بعَمْرو بن مَعْدِيكَرِبَ ، والحكيمُ بلُقْمَان[٥] ؛ والذكيُّ بإياس، واشتهر آخرونُ بصفات ذميمة ، فجرى التشبيه بهم أيضاً ؛ فيشبهُ العِيُّ ببا قِل[٦] والأحمق بِهَبَنَّقَةَ[٧] والنادمُ بالكُسَعِيِّ[٨] والبخيل بمادر[٩] ، والهجاء بالحُطَيْئَةِ[١٠]

---

(١) هو السموءل بن حيان اليهودى يضرب به المثل فى الوفاء ، وهو من شعراء الجاهلية ، توفى سنة ٦٢ ق هـ (٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الاسلام الأولين ، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده ، وقد نصر الله به الاسلام وأعزه

(٣) هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين ، كان شهماً حليما عزيزاً فى قومه إذا غَضِبَ غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب ، توفى سنة ٦٧ هـ

(٤) هو قس بن ساعدة الأيادى خطيب العرب قاطبة ، ويضرب به المثل فى البلاغة والحكمة (٥) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة أى الاصابة فى القول والعمل

(٦) رجل اشتهر بالعِيّ : اشترى غزالا مرة بأحد عشر درهما فسئل عن ثمنه فمدّ أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ففر الغزال ، فضرب به المثل فى العىّ (٧) هو لقب أبى الودعات يزيد بن ثروان القيسى ، يضرب به المثل فى الحمق (٨) هو غامد بن الحرث ، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حُمر بخمسة أسهم ، وكان يظن كل مرة أنه مخطئ فغضب وكسر قوسه ، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم فندم على كسر قوسه ، وعضّ على إبهامه فقطعها

(٩) لقب رجل من بنى هلال اسمه مخارق ، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم

(١٠) شاعر مُخضرَم كان هجّاء مُرًّا ، ولم يكد يسلم من لسانه أحد ، هجا أمه وأباه ونفسه وله ديوان شعر ؛ وتوفى سنة ٣٠ هـ

والقاسى بالحجاج [١]

الباب الثانى في المجاز [٢]

المجاز مشتق من جاز الشئ يجوزه اذا تعدّاه ـ سَمّوا به اللّفظ الذى يُعدَل به عمّا يوجبه أصلُ الوضع ـ لأنهم جازوا به موضعه الأصلى

والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التى تهدى اليها الطبيعة لايضاح المعنى ، إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسيّة تكاد تعرضه على عيان السامع ـ لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها الى الاتساع فى الكلام، والى الدلالة على كثرة معانى الالفاظ . ولما فيها من الدقة فى التعبير فيحصل للنفس به سرور وأريحيّة ، ولأمرٍ مّا كثر فى كلامهم حتى أتوا فيه بكل معنى رائق ، وزينوا به خطبهم وأشعارهم ـ وفى هذا الباب مباحث

المبحث الاول فى المجاز وأنواعه

المجاز هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم ارادة المعنى الاصلى

---

(١) هو الحجاج بن يوسف الثقفى ، كان عاملا على العراق وخراسان لعبد الملك ابن مروان ثم للوليد من بعده ، وهو أحد جبابرة العرب ، وله فى القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها ، توفى بمدينة واسط سنة ٩٧ هـ ـ عن البلاغة الواضحة

(٢) أقول إن المخلوقات كلها تفتقر الى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس . وهذا يقع ضرورة لا بد منها . فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقة له ـ فاذا نقل الى غيره صار مجازا .

والعلاقة [١] بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى قد تكون المُشابهة وقد تكون غيرها . فاذا كانت المشابهة فهو استعارة ،والاّ فهو مجاز مرسل

والقرينة قد تكون لفظية . وقد تكون حالية — كما سيأتي

وينقسم إلى اربعة أقسام— مجاز مفرد مُرسل ،ومجاز مفرد بالاستعارة ومجاز مركب مُرسل ـ ومجاز مركّب بالاستعارة

المبحث الثانى

﴿ في المجاز المفرد المُرْسل ﴾

المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصداً فى غير معناها الأصلى لملاحظة علاقة [٢] غير المشابهة مع قرينة [٣] دالة على عدم ارادة المعنى

وانواع المجاز كثيرة أهمها المجاز العقلى وقد تقدم الكلام عليه فى صحيفة ٤١ والمجاز المرسل وهو المقصود بالذّات فى هذا الباب

(١) العلاقة هى المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول اليه سميت بذلك لان بها يتعلق و يرتبط المعنى الثانى بالأول فينتقل الذهن من الأول للثانى ـ وباشتراط ملاحظة العلاقة يخرج الغلط كقولك خذ هذا الكتاب مشيراً إلى فرس مثلا ـ إذ لا علاقة هنا ملحوظة (٢) القرينة هى الامر الذى يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير ماوضع له ـ و بتقييد القرينة بمانعة الخ خرجت الكناية فان قرينتها لا تمنع من ارادة المعنى الأصلى ـ والقرينة إما لفظية أو حالية . فاللفظية هى التى يلفظ بها فى التركيب ـ والحالية هى التى تفهم من حال المتكلم أو من الواقع

وأما القرينة التى تعين المراد من المجاز فليست شرطا

(٣) سمى مرسلا لاطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة ، بل له علاقات كثيرة ، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التى تذكر فى الجملة ـ وليس المقصد

الأصلى . وله علاقات كثيرة أهمُّها .

١ السَّببية — هى كون الشئ المنقول عنه سبباً ومُؤثراً فى غيره

نحو رَعَت الماشية الغيث : أى النَّبات ، لأن الغيث أى المطر سببٌ فيه (١) وقرينته لفظيّة وهى رعت » لأن العلاقة تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه

٢ والمسببية — هى أن يكون المنقول عنه مُسبَّباً وأثراً لشئ آخر

نحو (ويُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً) أى مطراً يُسبِّبُ الرِّزق .

٣ والكُلية — هى كون الشىء مُتضمِّناً للمقصود ولغيره

نحو (ويجعلون أصابعهم فى آذانهم) أى أناملهم ، والقرينة حالية ، وهى استحالة ادخال الأصبع فى الأذن

ونحو : شربت ماء النيل ـ والمراد بعضه ، بقرينة شربت

٤ والجزئية — هى كون المذكور ضمن شئ آخر ـ نحو : نشر الحاكم عيونه فى المدينة ، أى الجواسيس ، فالعيون مجازٌ مرسل ، علاقته الجزئية لان كل عين جزءٌ من جاسوسها — والقرينة الاستحالة

وكقوله تعالى (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)

٥ واللازميَّة — هى كون الشئ يجب وجوده عند وجود شئ آخر

نحو : طلع الضَّوء ، أى الشمس . فالضوء مجاز مرسل . علاقته اللازمية لأنه يوجد عند وجود الشمس ـ والمعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك

من العلاقة إلا بيان الارتباط والمناسبة ، فالفطن يرى ما يناسب كل مقام . وقيل سمّى مرسلا لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة فى الاستعارة

(١) كقول الشاعر : له أيادٍ علىّ سابغة أعدّ منها ولا أعَدُّدها

٦ والملزومية — هى كون الشئ يجب عنـد وجوده وجود شئ آخر نحو ـ ملأت الشّمس المكان . أى الضّوء ، فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية ، لانها متى وُجدت وُجد الضوء ، والقرينة « ملأت »

٧ والآلية ـ هى كون الشئ واسطة لايصال أثر شئ الى آخر ـ نحو (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ) أى ذكراً حسناً ـ فلسان بمعنى ذكر حسن . مجاز مرسل ، علاقته الآلية لأن اللّسان آلة فى الذكر الحسن

٨ والاطلاق ـ هو كون الشئ مُجرداً من القيود ـ نحو قوله تعالى (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) أى عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ . فالرقبة مجاز مرسل ، علاقته الاطلاق . فان المراد منها المؤمنة . وإطلاق الرّقبة على جميع الجسم مجاز مرسل . علاقته الجزئية

٩ والتّقييد ـ هو كون الشئ مُقيّداً بقيد أو أكثر . نحو : ما أغلظ جحفلة زَيد . أى شفته . فجحفلة زَيد مجاز مرسل ، علاقته التّقييد ، لأنها مقيدة بشفة الفرس

١٠ والعموم — هو كون الشيء شاملا لكثير ـ نحو قوله تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاس) . أى « النبي » صلى الله عليه وسلم . فالناس مجاز مرسل علاقته العموم ـ ومثله قوله تعالى (الّذين قال لَهُمُ النَّاس) فان المراد من الناس واحد . وهو « نعيم بن مسعود الاشجعى »

١١ والخصوص ـ هو كون اللفظ خاصاً بشئ واحد كاطلاق اسم الشخص

قامت تظلّلنى من الشمس نفس أحبّ إلىّ من نفسى
قامت تظلّلنى ومن عجب شمس تظلّلنى من الشمس

على القبيلة ـ نحو ربيعة ـ وقريش

١٢ واعتبار ما كان ـ هو النظر الى الماضى . نحو (وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ) أى الّذين كانوا يتامى . ثم بلغوا . فاليتامى مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان ومثل هذا قول من شرب القهوة (خُذ الملثّان)

١٣ واعتبار ما يَكون — هو النظر الى المستقبل . نحو طحنت خبزاً أى حباً يَؤول أمره إلى أن يكون خبزاً ـ فخبزاً مجاز مرسل علاقته اعتبار مايؤول اليه ـ ومثله (إنّى أَرَانى أَعْصِرُ خَمْرًا) أى عصيراً يؤول أمره الى خمر لأنه حال عصره لا يكون خمراً ، فالعلاقة هنا اعتبار مايؤول اليه

ونحو : « ولا يلدُوا إلاّ فاجراً كفّاراً » والمولود حين يولد لا يكون فاجراً ولا كفاراً ، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة ، فأطلق المولود الفاجر وأُريد به الرجل الفاجر ، والعلاقة اعتبار مايكون

١٤ والحاليّة ـ هى كون الشىء حالاً فى غيره . نحو (فَفِى رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون) المُراد من الرّحمة الجنة التى تحل فيها الرّحمة . فرحمة مجاز مرسل ، علاقته الحالية ، ومثله فلان جالس فى سرور

١٥ والمحلّية — هى كون الشئ يحلُّ فيه غيره ـ كقوله تعالى (فَلْيَدْعُ

فائدة ـ القصد من العلاقة انما هو تحقق الارتباط ـ والذى يعرف مقال كل مقام ثم ان العلاقة : قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه الذى هو الحقيقى ـ وقيل تعتبر من جهة المعنى المنقول اليه لانه المراد ـ وقيل تعتبر من جهتهما رعاية لحقهما

واعلم أن اللفظ الواحد قد يكون صالحا بالنسبة إلى معنى واحد لأن يكون مجازا مرسلا ، واستعارة باعتبارين

نَادِيَهُ) أى أهل ناديه ـ وكقوله تعالى (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ) والقول بالألسنة

١٦ والبَدلية — هى كون الشئ بدلاً عن شىء آخر — كقوله تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ) والمراد الأداء

١٧ والمُبدلية — هى كون الشىء مُبدلاً منه شىء آخر ، نحو أكلت دَم زيد ، أى دِيَتَهُ . فالدَّم مجاز مرسل . علاقته المبدلية ، لأن الدَّم مُبدل عنه الدِّيَةَ

١٨ والمُجاوَرة — هى كون الشّىء مُجاوراً لشىء آخر ، نحو كلّمت الجدار والعامود ، أى الجالس بجوارهما ، فالجدار والعامود مجازان مرسلان علاقتهما المجاورة .

١٩ والتعلُّق الاشتقاق — هو إقامة صيغة مقام أخرى ـ وذلك

(ا) كإطلاق المصدر على المفعول فى قوله تعالى (صُنعَ اللهِ الذِى أَتقَنَ كلَّ شَىء) ـ أى مصنوعه

(ب) وكإطلاق الفاعل على المصدر فى قوله تعالى (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَة) أى تكذيب

(ج) وكإطلاق الفاعل على المفعول فى قوله تعالى (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ) ـ أى لا معصوم

(د) وكإطلاق المفعول على الفاعل فى قوله تعالى (حِجَاباً مَسْتُوراً) أى ساتراً

والقرينة على مجازية ماتقدّم هى ذكر مايمنع ارادة المعنى الأصلى

نموذج

(١) أبا المسك أرجو منك نصراً على العدا ... وآمل عزاً يخضب البيض بالدم (١)
ويوماً يغيظ الحاسدين وحالة ... أقيم الشقا فيها مقام التنعم (٢)

(٢) قال الله تعالى : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم .

(٣) ذهبنا إلى حديقة غناء

(٤) بنى اسماعيل كثيراً من المدارس بمصر

(٥) تكاد عطاياه يجن جنونها ... إذا لم يعوذها برقية طالب (٣)

الاجابة

(١) عزاً يخضب البيض بالدم

إسناد خضب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقى ، لان العز لا يخضب السيوف ، ولكنه سبب القوة ، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم ، فى العبارة مجاز عقلى علاقته السببية

« ب » ويوماً يغيظ الحاسدين

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقى ، غير أن اليوم هو الزمان الذى يحصل فيه الغيظ ، فى الكلام مجاز عقلى علاقته الزمانية

(٢) لا عاصم اليوم من أمر الله

المعنى لا معصوم (٤) اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله ، فاسم الفاعل

---

(١) أبو المسك كنية كافور الاخشيدى ، والبيض السيوف ، يقول أرجو منك أن تنصرنى على أعدائى ، وأن تولينى عزاً أتمكن به منهم ، وأخضب سيوفى بدمائهم

(٢) يقول وأرجو أن أبلغ بك يوما يغتاظ فيه حسادى لما يرون من إعظامك لقدرى وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدنى على الانتقام منهم ، فأتنعم بشقائى فى حربهم

(٣) يعوذها يحصنها ، والرُّقية العوذة ، جمعها رقى

(٤) يجوز أن تكون « عاصم » مستعملة فى حقيقتها ، ويكون المعنى لا شىء

أسند إلى المفعول ، وهذا مجاز عقلى علاقته المفعولية .

(٣) ذهبنا إلى حديقة غنّاء .

غنّاء مشتقة من الغنّ ، والحديقة لا تَغَنّ ، وإنما الذى يغنّ عصافيرها أو ذُبابها ففى الكلام مجاز عقلى علاقته المكانية

(٤) بنى اسماعيل كثيراً من المدارس

إسماعيل أمير مصر ـ لم يبن بنفسه ولكنه أمر ، ففى الاسناد مجاز عقلى علاقته السببية

(٥) تكاد عطاياه يُجن جنونها إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلى علاقته المصدرية

بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلى

إذا تأملتَ أنواع المجاز المرسلِ والعقلىِّ رأيتَ أنها فى الغالب تؤدِّى المعنى المقصودَ بإيجاز ، فاذا قلتَ (هزَم القائدُ الجيْشَ) أو (قرَّرَ المجلس كذا) كان ذلك أوجزَ من أن تقول (هزمَ جنود القائدِ الجيْشَ) أو (قرَّر أهل المجلس كذا) ولاشك أن الإيجاز ضَرْبٌ من ضروب البلاغة .

وهناك مظهرٌ آخرُ للبلاغة فى هذين المجازين ، هو المهارة فى تَخَيُّر العلاقة بين المعنى الأصلىِّ والمعنى المجازىِّ ، بحيث يكون المجاز مُصَوِّراً للمعنى المقصود خيرَ تصوير ـ كما فى إطلاق العين على الجاسُوس . والأذن على سريع التأثر بالوشاية . والخُفِّ والحافر على الجِمال والخيل فى المجاز المرسل وكما فى إسناد الشئ إلى سببه أو مكانه أو زمانه فى المجاز العقلىِّ . فإن البلاغة

يعصم الناسَ من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم . فانه تعالى هو الذى يعصمه

توجبُ أن يُختَار السبب القوىُّ ، والمكان والزمان المختصّان

وإذا دَقّقت النظر رأيتَ أنّ أغلب ضروب المجاز المرسل والعقلى لاتخلو من مبالغة بديعة ، ذات أثرٍ فى جعل المجاز رائعاً خلاّباً ، فإن إطلاق الكل على الجزء مبالغة ، ومثله إطلاق الجزء وإرادةُ الكل ، كما إذا قلت « فلان فَمٌ » تريد أنه شَرِهٌ يَلْتَهِمُ كلَّ شئ ، أو « فلان أنف » عندما تريد أن تَصِفَه بعِظَمِ الأنف ، فتبالغَ فتجعلَه كلّه أنفا ؟

ومما يُؤثر عن بعض الأُدباء فى وصف رجل أُنافِيٍّ [1] قوله : « لَسْتُ أَدْرى أَهُوَ فِى أَنْفِهِ أَمْ أَنْفُهُ فِيهِ »

المبحث الثالث

﴿ فى المجاز المفرد بالاستعارة ﴾

الاستعارة فى اللغة من قولهم ، استعار المال إذا طلبه عارية

وفى اصطلاح البيانيين ـ هى استعمال اللّفظ فى غير ماوضع له لعلاقة المُشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلى . والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصراً ؛ لكنها أبلغ منه [2] كقولك — رأيت أسداً فى المدرسة . فأصل هذه الاستعارة

---

(١) الأُنافىّ عظيم الانف ، ـ عن البلاغة الواضحة

(٢) فأصل الاستعارة تشبيه حُذِف أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته ـ ولكنها أبلغ منه لان التشبيه مهما تناهى فى المبالغة فلابد فيه من ذكر المشبه والمشبه به . وهذا اعتراف بتباينهما . وان العلاقة ليست الا التشابه والتّدانى فلا تصل الى حد الاتحاد

« رأيت رجلا شجاعاً كالأسد فى المدرسة » فحذفتَ المشبه « رجلا » والأداة الكاف ـ ووجه التشبيه « الشجاعة » وألحقتَه بقرينة « المدرسة » لتدلّ على أنك تريد بالأسد شُجاعاً

وأركان الاستعارة ثلاثة { ١ مستعار منه — وهو المشبه به ، ٢ ومستعار له — وهو المشبه } ويقال لهما الطّرفان ، ٣ ومستعار ـ وهو اللفظ المنقول

ولابُد فيها من عدم ذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه ، بل ولا بُدّ أيضاً من تناسى التّشبيه الذى من أجله وقعت الاستعارة فقط مع ادّعاء أن المشبه عين المشبه به ، أو ادّعاء أنّ المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلّى « بأن يكون اسم جنس أو عَلَم جنس » ولا تتأتّى الاستعارة فى « العلم الشخصى [1] » لعدم إمكان دخول شىء فى الحقيقة الشخصيّة ـ لأنّ نفس تصوّر الجزئى يمنع من تصوّر الشّركة فيه ، إلا إذا أفاد العلَم الشخصى وصفاً به يصحّ اعتباره كلّيا فتجوز استعارته كتضمُّن « حاتم » للجود

بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج . وان المشبه والمشبه به صارا معنى واحدا يصدق عليهما لفظ واحد ـ فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة .

واعلم أنّ حسن الاستعارة « غير التخييلية » لا يكون الا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافيا بافادة الغرض منه لأنها مبنية عليه فهى تابعة له حسنا وقبحا

(١) يعنى أن الاستعارة تقتضى ادخال المشبه فى جنس المشبه به . ولذلك لاتكون علما لان الجنس يقتضى العموم، والعلم ينافى ذلك بما فيه من التشخص الا إذا كان العلم يتضمن وصفيّة قد اشتهر بها « كسَحبان » المشهور بالفصاحة فيجوز فيه ذلك لأنه يستفيد الجنسية من الصفة نحو صمتُ اليوم سَحبان . أى خطيبا فصيحا ـ وهلم جرا

و « قُس » للفصاحة ، فيقال . رأيت حاتماً وقُساً بدعوى كليّة حاتم وقس ودخول المشبه فى جنس الجواد . والفصيح

وللاستعارة أجمل وقع فى الكتابة لانها تُجدى الكلام قوة، وتكسوه حسنا ورونقاً . وفيها تثار الأهواء والاحساسات

المبحث الرابع

﴿ فى تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين ﴾

إذا ذكر فى الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية أو مصرّحة[1] نحو

فأمطرت لُؤْلُؤاً من نَرْجِس وسقت ... ورداً وعَضَّتْ على العُنّاب بالبَرَد

فقد استعار اللؤلؤ . والنرجس . والورد ، والعُنّاب . والبَرَد . للدموع والعيون . والخدود . والانامل . والأسنان

وإذا ذكر فى الكلام لفظ المشبه فقط . وحذف فيه المشبه به . وأشير اليه بذكر لازمه المُسَمَّى «تخييلا» فاستعارة مكْنيّة[2] أو بالكناية، كقوله

وَإِذَا المنيّة أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كلَّ تَمِيمَةٍ لا تنفعُ

---

(١) معنى تصريحية أى مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه ومعنى مكنية أى مخفى فيها لفظ المشبه به استغناء بذكر شئ من لوازمه — فلم يذكر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه (٢) أى وهذا مذهب السلف . وصاحب الكشاف وأما مذهب السكاكى فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه ـ أى كلفظ المنية فى نحو « أظفار المنية نشبت بفلان » المستعمل فى المشبه به بادعاء أنه عينه

وبيان ذلك أنه بعد تشبيه معنى المنية وهو الموت بمعنى السبع — تدعى أن

فقد شبَّه المنيَّة بالسَّبع بجامع الاغتيال في كلٍّ، واستعار السَّبع للمنيَّة — وحذفه ورمزَ اليه بشئٍ من لوازمه وهو الأظفار على طريق الاستعارة المكنية الأصليَّة، وقرينتها لفظة « أظفار » ثم أخذ الوهمُ في تصوير المنية بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة الاظفار، ثم أطلق على الصورة التى هى مثل صورة الاظفار لفظ الاظفار

فتكون لفظة اظفار استعارة تخييلية، لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه صورة الاظفار الحقيقية وقرينتها اضافتها الى المنية

المشبه عين المشبه به . وحينئذ يصير المشبه به فردان — أحدهما حقيقى والآخر ادعائى فالمنية مراد بها السبع بادعاء السبعية لها ، وانكار أن تكون شيئاً آخر غير السبع بقرينة اضافة الاظفار التى هى من خواص المشبه به وهو السبع — وأنكر السكاكى التبعية بمعنى أنها مرجوحة عنده — واختار ردها إلى قرينة المكنية — ورد قرينتها إلى نفس المكنية — ففى نطقت الحال مثلا . يقدر القوم ان نطقت استعارة تبعية والحال قرينة لها — وهو يقول إن الحال استعارة بالكناية ونطقت قرينتها

وفى كلامه نظر من وجهين

(الاول) ان لفظ المشبه لم يستعمل إلا فى معناه الحقيقى فلا يكون استعارة

(الثانى) أنه قد صرح بأن نطقت مستعارة للامر الوهمى أى المتوهم انباته للحال تشبيها بالنطق الحقيقى فيكون استعارة والاستعارة فى الفعل لا تكون الا تبعية فيلزمه القول بالتبعية — وأجيب عنه بأجوبة تطلب من المطولات — وأما مذهب الخطيب فانه يقول ان الاستعارة بالكناية التشبيه المضمر فى النفس سوى المشبه المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه . ويلزم على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعارة — لان الاستعارة هى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة — أو استعمال اللفظ المذكور — والتشبيه غير ذلك بل هو فعل من أفعال النفس

ونظراً الى أن الاستعارة التخييلية قرينة المكنية فهى لازمة لها لا تفارقها ، لأنه لااستعارة بدون قرينة

وإذاً تكون أنواع الاستعارة ثلاثة — تصريحية ومكنية وتخييلية

(تنبيه) المشبه فى مواد الاستعارة بالكناية لا يجب أن يكون مذكوراً بلفظ المشبه به ـ فيجوز ذكره بغير لفظه كأن يشبه شئ كالنحافة واصفرار اللون بأمرين كاللباس والطعم المر البشع . ويستعمل لفظ أحد الامرين فيه ، ويثبت له شئ من لوازم الآخر كما فى قوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) فانه شبه ما غشى الانسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون باللباس لاشتماله على اللابس واشتمال أثر الضرر على من به ذلك ، فاستعير له اسمه ـ وشبه ماغشى الانسان عند الجوع « أى ما يدرك من أثر الضرر والالم باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية » بما يدرك من الطعم المر البشع ، حتى أوقع عليه الاذاقة ـ فتكون الآية مشتملة على الاستعارة المصرحة نظراً إلى الاول ـ والمكنية نظراً إلى الثانى ، وتكون الاذاقة تخييلا بالنسبة للمكنية ، وتجريداً بالنسبة إلى المصرحة لانها تلائم المشبه وهو النحافة والاصفرار لانها مستعارة للأصابة ـ وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة ـ ويقال شبه ماغشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر باللباس . بجامع الاشتمال فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية

وطريق اجراء الاستعارة الثانية أن يقال: شبه ما غشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر بالطعم المر البشع بجامع الكراهة فى كل ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ثم حذف وأثبت له شئ من لوازمه وهو الاذاقة على سبيل الاستعارة المكنية واثبات الاذاقة تخييل ـ وطريق اجراء الثالثة أن يقال شبهت الاذاقة المتخيلة بالاذاقة المتحققة واستعيرت المتحققة للمتخيلة على سبيل الاستعارة التخييلية على مذهب السكاكى

المبحث الخامس

﴿ فى الاستعارة باعتبار الطَّرفين ﴾ (١)

إن كان المستعار له مُحققاً حِسًّا « بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم يُمكن أن يُشار إليه إشارة حِسِّيَّة » كقولك رأيت بحراً يُعطى

أو كان المستعار له مُحققاً عقلاً « بأن يمكن أن ينصّ عليه ويشار إليه اشارة عقليّة » كقوله تعالى (إهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيم) أى الدِّين الحقّ (فالاستعارة تحقيقية)

وان لم يكن المستعار له محققاً لاحِسًّا ولاعقلاً « فالاستعارة تخييليّة » (٢)

---

(١) اعلم أن المذاهب فى التخييلية أربعة

(الاول) مذهب السلف والخطيب وهو أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة فى حقيقتها ، والتجوز إنما هو فى الاثبات لغير ما هو له المسمى استعارة تخييلية ، فهما متلازمان ، وهى من المجاز العقلى

(الثانى) مذهب السكاكى وهو أن قرينة المكنية تارة تكون تخييلية أى مستعارة لامر وهمى كأظفار المنية . وتارة تكون تحقيقية أى مستعارة لأمر محقق « كابلعى ماءك » وتارة تكون حقيقة « كأنبت الربيع البقل » فلا تلازم بين التخييلية والمكنية بل يوجد كل منهما بدون الآخر ـ وقد استدل السكاكى على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله

لا تسقنى ماء الملام فانّنى صب قد استعذبت ماء بكائى

فانه قد توهم أن للملامة شيئاً شبيها بالماء واستعار اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية . ورده العلامة الخطيب بأنه لادليل له فيه لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية فيكون قد شبه الملام بشئ مكروه له ماء . وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الماء على طريق التخييل .

وأن يكون من باب اضافة المشبه به الى المشبه والاصل لاتسقنى الملام الشبيه بالماء

وذلك كالأظفار فى قولك ـ أنشبت المنيّة أظفارها بفلان . فانه لما شبّهت المنية بالسَّبع أخذت القوة المفكّرة تتخيل للمنيّة صورة شبيهةٍ بالاظفار فشُبِّهت الصورة المتخيلة بالصورة المحقّقة، واستُعير لفظ الاظفار من الصورة المحقّقة الى الصورة المتخيلة على طريق الاستعارة التّخييلية (وسميت تخييليّة لأن إثبات الأظفار للمشبه خُيل اتحاده مع المشبه به) وحينئذ التّخييليّة لا تفارق المكنيّة لانها قرينتُها، ولا استعارة بدون قرينة كما سبق هذا اذا كان لازم المشبه به فى المكنية واحدا ، أما إذا كانت اللوازم متعدّدة فيكون أقواها لزوما قرينةً لها ، وما عداه ترشيح وتقوية لها ، كما سيأتى

وأيضا لا يخفى ما فى مذهب السكاكى من التعسف أى الخروج عن الطريق الجادة لما فيه من كثرة الاعتبارات ـ وذلك أن المستعير يحتاج الى اعتبار أمر وهمى، واعتبار علاقة بينه و بين الامر الحقيق . واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ الامر الوهمى . فهذه اعتبارات ثلاثة لا يدل عليها دليل ، ولا تمس اليها حاجة

(الثالث مذهب صاحب الكشاف) وهو أنها تكون تارة تحقيقية أى مصرحة وتارة تكون تخييلية أى مجازاً فى الاثبات

(الرابع ـ مذهب صاحب السمرقندية) وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع وعدمه وعند صاحب السمرقندية على الامكان وعدمه

(تنبيه) الفرق بين ما يجعل قرينة للمكنية و يجعل نفسه تخييلا على مذهب السكاكى ـ أو استعارة تحقيقية على مذهب صاحب الكشاف فى بعض المواد ـ وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك ـ أو إثباته تخييلا على مذهب السلف وصاحب الكشاف فى بعض المواد ـ وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك ـ و بين ما يجعل زائداً عليها قوة الاختصاص أى الارتباط بالمشبه به ـ فأيهما أقوى ارتباطا به فهو

المبحث السادس

﴿ فى الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار ﴾

١ إذا كان اللفظ المستعار « اسما جامداً لذات » كالبدر اذا استعير للجميل « أو اسما جامداً لمعنى » كالقتل إذا استعير للضرب الشديد سميت الاستعارة « أصلية» كقوله تعالى (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (١) وكقوله تعالى (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) (٢) وسُمِّيتْ أصليّة لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر مُعتبرٍ أوّلاً

٢ وإذا كان اللفظ المُستعار فعلاً (٣) أو اسم فعل ، أو اسما مشتقاً أو حرفا ، أو اسما مُبهماً ، فالاستعارة « تصريحية تبعية »

القرينة وماسواه ترشيح ـ وذلك كالنشب فى قولك . مخالب المنية نشبت بفلان، فان المخالب أقوى اختصاصا وتعلقا بالسبع من النشب لانها ملازمة له دائماً بخلاف النشب

(١) يقال فى اجراء الاستعارة فى الآية الاولى ـ شبهت الضلالة بالظلمة بجامع عدم الاهتداء فى كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية

(٢) ويقال فى اجراء الاستعارة فى الآية الثانية ـ شبه الذل بطائر واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر للمشبه وهو الذل ـ على طريق الاستعارة المكنية الاصلية ثم حذف الطائر ، ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الجناح

(٣) مثال الاستعارة التصريحية فى الفعل . نطقت الحال بكذا ـ وتقريرها أن يقال شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع ايضاح المعنى فى كل ، واستعير النطق للدلالة الواضحة ، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ونحو : يحيى الارض بعد موتها . يقدر تشبيه تزيينها

٣ وإذا كان اللفظ المستعار اسما مشتقاً ، أو اسما مبهماً « دون باقي أنواع التبعيّة المتقدمة » فالاستعارة « تبعيّة مكنيّة »

بالنبات ذى الخضرة والنضرة ـ بالاحياء بجامع الحسن أو النفع فى كل ـ و يستعار الاحياء للتزيين ، و يشتق من الاحياء بمعنى التزيين يحيي بمعنى يزين ، استعارة تبعية لجريانها فى الفعل تبعاً لجريانها فى المصدر ـ هذا اذا كانت الاستعارة فى الفعل باعتبار مدلول صيغته ،أى مادته وهو الحدث . وأما اذا كانت باعتبار مدلول هيئته وهوالزمن كما فى قوله تعالى (أتى أمر الله) فتقريرها أن يقال شبه الاتيان فى المستقبل بالاتيان فى الماضى بجامع تحقق الوقوع فى كل، واستعير الاتيان فى الماضى للاتيان فى المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ونحو (ونادى أصحاب الجنة) أى ينادى ـ شبه النداء فى المستقبل بالنداء فى الماضى بجامع تحقق الوقوع فى كل ، ثم استعير لفظ النداء فى الماضى للنداء فى المستقبل ، ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادى ـ ونحو قوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا) ان قدّر المرقد للرقاد مستعاراً للموت . فالاستعارة أصلية ـ وان قدّر لمكان الرّقاد مستعاراً للقبر . فالاستعارة تبعية لانها فى اسم المكان ، فلا يستعار المرقد للقبر الا بعد استعارة الرقاد للموت ـ ومثال الاستعارة فى اسم الفاعل ،زيد قاتلٌ عمراً ،اذا كان عمرو مضروبا ضرباشديداً ـ ومثالها فى اسم المفعول ـ عمرو مقتول لزيد ـ اذا كان زيد ضارب بالعمرو ضرباً شديداً .واجراء الاستعارة فيهما أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الايذاء فى كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه . واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول بمعنى ضارب أو مضروب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ومثالها فى الصفة المشبهة ـ هذا حسن الوجه مشيراً الى قبيحه ـ و إجراء الاستعارة فيه أن يقال ـ شبه القبح بالحسن . بجامع تأثر النفس فى كل . واستعير الحسن للقبح تقديراً ، واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ومثال الاستعارة فى أفعل التفضيل ـ هذا أقتل لعبيده من زيد ـ أى أشد ضربا

وسُمِّيت تبعيّةً لأن جريانَها في المشتقات والحروف تابعٌ لجريانها أوّلاً في الجوامد ، وفى كلّيات معانى الحروف ـ يعنى أنّها سُمِّيت تبعيّةً لتبعيّتها لاستعارة أخرى لانها في المشتقات تابعةٌ للمصادر ـ وفى معانى الحروف تابعةٌ

لهم منه ـ ومثال اسم الزمان والمكان ـ هذا مقتل زيد ـ مشيراً الى مكان ضربه أو زمانه ـ ومثال اسم الآلة ـ هذا مفتاح الملك : مشيراً إلى وزيره . واجراؤها أن يقال ـ شبهت الوزارة بالفتح للأبواب المغلقة بجامع التوسل إلى المقصود فى كل ، واستعير الفتح للوزارة ، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير ـ ومثال اسم الفعل المشتق ـ نزال بمعنى انزل . تريد به أبعد . فتقول شبه معنى البعد بمعنى النزول بجامع مطلق المفارقة فى كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد واشتق منه نزال بمعنى أبعد ـ ومثال اسم الفعل غير المشتق « صه » بمعنى اسكت عن الكلام . تريد به اترك فعل كذا ـ فتقول شبه ترك الفعل بمعنى السكوت ، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل ، واشتق منه اسكت بمعنى أترك الفعل ـ وعبّر بدل اسكت بصه ـ ومثال المصغر « رُجَيْلٌ » لمتعاطى مالا يليق ـ ومثال المنسوب « قُرَشِيٌّ » للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم

ومثال الاستعارة فى الحرف قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) واجراؤها أن يقال شبهت المحبة والتبنى بالعداوة والحزن اللذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتب واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية . واعلم أن اللام لم تستعمل فى معناها الأصلى وهو العلّة لأن علّة التقاطهم له أن يكون لهم ابنا ، وانّما استعملت مجازاً لعاقبة الالتقاط ، وهى كونه لهم عدوا ، فاستُعيرت العلّة للعاقبة بجامع أن كلا منهما مترتب على الالتقاط . ثم استعيرت اللام تبعا لاستعارتها ، فالمستعار منه العلة . والمستعار له العاقبة . والترتب على الالتقاط هو الجامع . والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدوا ـ وقوله تعالى (ولأصلبنّكم فى جذوع النخل) واجراؤها أن يقال شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن فى كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التى هى معانى الحروف

لمتعلَّق معانيها - إذ معانى الحروف جزئية لا تتصوّر الاستعارة فيها إلا بواسطة كلّىٍّ مستقل بالمفهومية ليتأتّى كونها مُشبَّها ومشبَّها بها، أو محكوما عليها أو

فاستعير لفظ « فى » الموضوع لكل جزئى من جزئيات الظرفية لمعنى « على » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية - ومثال المكنية التبعية فى الاسم المشتق يعجبنى أراقة الضارب دم الباغى ، واجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الايذاء فى كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضربا شديدا ، ثم حذف وأثبت له شئ من لوازمه وهو الاراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية - ومثالها فى الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك . أنت مطلوب منك أن تسير الينا الآن - شبه مطلق مخاطب بمطلق غائب فسرى التشبيه للجزئيات واستعير الثانى للأول ، ثم استعير بناء على ذلك ضمير الغائب للمخاطب ، وحذف وذكر المخاطب ورمز الى المحذوف بذكر لازمه وهو طلب السير منه اليك ، واثباته له تخييل

واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة أعنى الضمائر وأسماء الاشارة والموصولات تبعية لأنها ليست باسم جنس لا تحقيقاً ولا تأويلا - ولأنها لا تستقل بالمفهومية لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشئ مالم تصحب تلك الالفاظ فى الدلالة عليها ضميمة تتم بها - كالاشارة الحسية والصلة والمرجع - فلا بد أن تعتبر التشبيه أولا فى كليات تلك المعانى الجزئية ، ثم سريانه فيها لتبنى عليه الاستعارة - مثلا فى استعارة لفظ «هذا» لأمر معقول . يشبه المعقول المطلق فى قبول التميز فيسرى التشبيه الى الجزئيات فيستعار لفظ هذا من المحسوس الجزئى للمعقول الجزئى الذى سرى اليه التشبيه فهى تبعية - والاستعارة فى الضمير والموصول كالتعبير عن المذكر بضمير المؤنث أو بموصولها عنه لشبهه بها . أو عكسه . فتشبه المذكر المطلق بالمؤنث المطلق فيسرى التشبيه فتستعير الضمير أو الموصول للجزء الخاص

بها ، نحو : ركب فلان كتفىْ غريمه [١] أى لازمه ملازمة شديدة

وكقوله تعالى (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ) أى تمكنوا من الحصول على الهداية التامّة [٢] ونحو (أَذَقْتَهُ لِباسَ الْمَوْتِ) [٣] أى ألبسته إياه

تنبيهات — الاول ، كل تبعية قرينتها مكنيّة

الثانى — اذا أُجريت الاستعارة فى واحدة منهما امتنع اجراؤها فى الأخرى

الثالث ـ تقسيم الاستعارة الى أصلية وتبعية عام فى كل من الاستعارة التصريحية والمكنية

المبحث السابع

﴿ فى تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين الى عنادية ووفاقية ﴾

فالعنادية — هى التى لايمكن اجتماع طرفيها فى شئ واحد لتنافيهما

---

(١) يقال فى اجرائها شبه اللزوم الشديد بالركوب بجامع السلطة والقهر ـ واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم ، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية

(٢) يقال فى اجرائها شبه مطلق ارتباط بين مهدى وهدى ـ بمطلق ارتباط بين مستعلى ومستعلى عليه بجامع التمكن فى كل . فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات ثم استعيرت « على » من جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية

(٣) يقال فى اجرائها شبهت الإذاقة بالالباس ، واستعير الالباس للاذاقة واشتق منه ألبس بمعنى أذاق على طريق الاستعارة المكنية التبعية ـ ثم حذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو اللباس

والوفاقية ـ هى التى يمكن اجتماع طرفيها فى شئ واحد لعدم التنافى مثالهما قوله تعالى (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) أى ضالاً فهديناه

ففى هذه الآية استعارتان

الأولى فى قوله « ميتا » شبه الضلال بالموت بجامع ترتب نفى الانتفاع فى كل واستعير الموت للضلال ، واشتق من الموت بمعنى الضلال ميتا بمعنى ضالاً ـ وهى عنادية لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال فى شئ واحد

والثانية — استعارة الأحياء للهداية وهى وفاقية ،لامكان اجتماع الأحياء والهداية فى الله تعالى

ثم العنادية قد تكون تمليحية . أى المقصود منها التمليح والظرافة وقد تكون تهكمية أى المقصود منها التهكم والاستهزاء ، بأن يستعمل اللفظ فى ضد معناه ، نحو رأيت أسداً ، تريد جباناً ، قاصداً التمليح والظرافة ،

أو التهكم والسخرية : وهما اللتان نزل فيهما التضاد منزلة التناسب نحو (فبشرهم بعذاب أليم) استعيرت البشارة التى هى الخبر السار للانذار الذى هو ضده بادخال الانذار فى جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء

المبحث الثامن

﴿ فى تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع ﴾

الاستعارة المصرحة باعتبار الجامع نوعان [1]

---

(١) « ينقسم الجامع » الى داخل وخارج ـ فالأول ـ ما كان داخلا فى مفهوم الطرفين نحو قوله تعالى « وقطعناهم فى الارض أمماً » فاستعير التقطيع الموضوع

١ عاميّة ـ وهى القريبة المُبتذلة التى لا كَنَتها الألسُن فلا تحتاج الى بحث ويكون الجامع فيها ظاهراً ، نحو رأيت أسداً يرمى

٢ خاصية ـ وهى الغريبة التى يكون الجامع فيها غامضا لا يدركه الا أصحاب المدارك من الخواص ـ كقول كثير يمدح عبدالعزيز بن مروان

غَمْرُ الرِّداء إذا تبسّم ضاحكا غلِقت لضَحكته رِقاب المال

لازالة الاتصال بين الاجسام الملتصق بعضها ببعض . لتفريق الجماعة و إبعاد بعضها عن بعض . والجامع ازالة الاجتماع . وهى داخلة فى مفهومها . وهى فى القطع أشد والثانى . وهو ما كان خارجا عن مفهوم الطرفين نحو : رأيت أسداً ـ أى رجلا شجاعا ، فالجامع وهى الشجاعة أمر عارض للأسد لا داخل فى مفهومه .

وينقسم أيضاً باعتبار الطرفين والجامع الى ستة أقسام لان الطرفين إما حسيان أو عقليان (أوالمستعار منه حسى والمستعار له عقلى أو بالعكس) والجامع فى الاول من الصور الأربع تارة يكون حسيا وتارة يكون عقليا وأخرى مختلفاً، وفى الثلاث الاخيرة لا يكون الا عقلياً ـ مثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع كذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسداً له خُوار) فان المستعار منه وهو ولد البقرة ،والمستعار له وهو المصوغ من حُلى القبط بعد سبكها بنار السّامرى والقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل عليه والجامع الشكل . فانه كان على شكل ولد البقر مما يدرك بحاسة البصر « وبحث بعضهم بأن ابدال جسداً من عجلا يمنع الاستعارة »

ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع عقلى ـ قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) فان المستعار منه أعنى السلخ وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها والمستعار له وهو كشف الضوء عن مكان الليل وهووضع إلقاء ظله : حسيان

والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه كترتب ظهور اللحم على الكشط وترتب ظهور الظلمة على ازالة الضوء عن مكان الليل . والترتب عقلى

غَمرُ الرِّداء « كثير العطايا والمعروف » استعار الرداء للمعروف لأنه يصون ويستر عرض صاحبه كستر الرِّداء ما يلقى عليه وأضاف اليه الغمر ، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب ، لأن الغمر من صفات المال لا من صفات الثوب .

وهذه الاستعارة لايظفر باقتطاف ثمارها إلاّ ذووا الفِطَر السليمة والخِبرة التّامة

المبحث التاسع

﴿ فى تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من المُلائِمات وعدم اتّصالها ﴾

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر « ملائم المستعار منه »

أو باعتبار ذكر « مُلائم المستعار له » أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام مُطْلَقة ، ومرشحة ، ومجردة

واجراء الاستعارة ـ شبه كشف الضوء عن الليل بكشط الجلد عن نحو الشاة . بجامع ترتب ظهور شئ على شئ فى كل ، واستعير لفظ المشبه به وهو « السلخ » للمشبه وهو كشف الضوء « واشتق منه « نسلخ » بمعنى نكشف على طريق الاستعارة التصريحيه التبعية . ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع بعضه حسى و بعضه عقلى . قولك رأيت بدراً يتكلم ـ تريد شخصاً مثل « البدر » فى حُسْن الطلعة وعلو القدر . فحسنُ الطلعة حسى . وعلو القدر عقلى ـ ومثال ما إذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع فيه إلا عقلياً كباقى الاقسام . قوله تعالى (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) فان المستعار منه « الرقاد » أى النوم . والمستعار له الموت . والجامع بينهما عدم ظهور الفعل ، والجميع عقلى ـ واجراء الاستعارة شبه الموت بالنوم بجامع عدم ظهور الفعل فى كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية ـ وقال بعضهم عدم ظهور الفعل فى الموت أقوى . وشرط الجامع أن يكون فى المستعار منه

«ا» فالمطلقة هى التى لم تقترن بملائم أصلا، نحو (يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ) أو ذكر فيها ملائمهما معاً كقول زهير

لدى أسد شاكى السلاح مُقذّف له لِبدٌ أظفاره لم تُقلَّم

استعار الاسد للرجل الشجاع، وقد ذكر ما يناسب المستعار له فى قوله «شاكى السلاح مقذّف» وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه فى قوله «له لبد أظفاره لم تقلّم» وهو الترشيح. واجتماع التجريد والترشيح يؤدى الى تعارضهما وسقوطهما فكأن الاستعارة لم تقترن بشئ وتكون فى رتبة المطلقة

«ب» والمُرَشَّحة — هى التى قُرِنَت بملائم المستعار منه «أى المشبه به» نحو (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) استعير الشراء للاستبدال والاختيار. ثم فرّع عليها مايلائم المستعار

أقوى فليجعل الجامع هو «البعث» الذى هو فى النوم أظهر وقرينة الاستعارة أن هذا الكلام كلام الموتى مع قوله «هذا ما وَعدَ الرحمن وصدق المرسلون» وعلى هذا يقال شبه الموت بالرقاد بجامع عدم ظهور الفعل فى كل. واستعير الرقاد للموت. واشتق منه «مرقد» اسم مكان الرقاد بمعنى قبر اسم مكان الموت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية — ومثال ما إذا كان المستعار منه حسيا. والمستعار له عقليا. قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فان المستعار منه كسر الزجاجة. وهو أمر حسى. والمستعار له التبليغ جهراً والجامع التأثير «أى أظهر الأمر إظهاراً لا ينمحى — كما أن صدع الزجاجة لا يلتئم واجراء الاستعارة شبه التبليغ جهراً بكسر الزجاجة بجامع التاثير الشديد فى كل واستعير المشبه به وهو «الصدع» للمشبه وهو التبليغ جهراً — واشتق منه أصدع بمعنى بلغ جهراً. على طريق الاستعارة التصريحية التبعية — ومثال ما إذا كان المستعار منه عقليا. والمستعار له حسيا. قوله تعالى (إنّا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) فان

منـه من الربح والتجارة، ونحو : من باع دينه بدنياه لم تربح تجارته

« وسُمِّيَتْ مُرَشحة لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم »

« ج » والمجردة ـ هى التى قرنت بملائم المستعار له « أى المشبه »

نحو رأيت بحراً على فرس يعطى . فيعطى تجريد لأنه يناسب المستعار له الذى هو الرجل الكريم . ونحو اشترِ بالمعروف عرضك من الأذى

« وسميت بذلك لتجريدها عن بعض المبالغة لبُعد المشبه حينئذ عن المشبه به بعض بُعد ، وذلك بُبعد دعوى الاتحاد الذى هو مبنى الاستعارة»

ثم اعتبار الترشيح والتجريد إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها

المستعار له كثرة الماء وهو حسى . والمستعار منه التكبر . والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان . واجراء الاستعارة شبهت كثرة الماء المفرطة بمعنى الطغيان . وهو مجاوزة الحد . بجامع الاستعلاء المفرط فى كل . واستعير لفظ المشبه به وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة . واشتق منه طغى بمعنى كثر كثرة مفرطة . على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

« تنبيه » الاستعارة المكنية تنقسم أيضا الى . أصلية وتبعية . والى مرشحة ومجردة . ومطلقة . كما انقسمت التصريحية الى مثل ذلك

فالمكنية الاصلية . هى ما كان المستعار فيها اسما غير مشتق كالسبع المتقدم

والتبعية ـ هى ما كان المستعار فيها اسما مشتقا فلا تكون فى الفعل ولا فى الحرف ومثالها فى الاسم المشتق . يعجبنى إراقة الضارب دم الظالم . فقد شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الايذاء فى كل واستعير القتل للضرب الشديد . ثم حذف و رمز اليه بشئ من لوازمه ، وهو الاراقة ، على طريق الاستعارة المكنية التبعية ـ فالاستعارة التخييلية عند الجمهور هى نفس اثبات اللازم المستعمل فى حقيقته ـ وهى من المجاز العقلى وإنما سميت استعارة لانه استعير ذلك الاثبات من المشبه به للمشبه وسميت تخييلية

سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية ـ فلا تُعدّ قرينة المصرحة تجريداً ولا قرينة المكنية ترشيحاً ـ بل الزائد على ما ذكر

وأعلم ان الترشيح أبلغ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسى التشبيه ، وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه « لا شئ شبيه به » وكأنّ الاستعارة غير موجودة ، والاطلاق أبلغ من التجريد ، فالتجريد أضعف الجميع ، لأن به تضعف دعوى الاتحاد ، واذا اجتمع ترشيح وتجريد فتكون الاستعارة فى رتبة المطلقة اذ بتعارضهما يتساقطان ، كما سبق تفصيله وكما يجرى هذا التقسيم فى التصريحية يجرى أيضا فى المكنية ،

لان اثباته للمشبه خيل اتحاده مع المشبه به ، فقولنا أظفار المنية نشبت بفلان ـ لفظ « أظفار » فى هذا التركيب مستعمل فى حقيقته « وانما التجوز فى اثباته للمنية » أى أن ذلك الأثبات إثبات الشئ الى غير ما هو له ـ فعند الجمهور التخييلية لا تفارق المكنية لأنها قرينتها

والاستعارة المكنية المرشحة ـ هى ما قرنت بما يلائم المشبه فقط نحو ـ نطق لسان الحال بكذا ـ شبهت « الحال » بمعنى الانسان ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو « لسان » واثبات اللسان للحال تخييل وهو القرينة ، والنطق ترشيح . لأنه يلائم المشبه به فقط

والمكنية المجردة ـ هى ما قرنت بما يلائم المشبه فقط ، ـ نحو : نطقت الحال الواضحة بكذا ـ فالوضوح تجريد لانه يلائم المشبه الذى هو انسان فقط

والمكنية المطلقة ـ هى التى لم تقترن بشئ يلائم المشبه ولا المشبه به ـ أو قرنت بما يلائمهما معاً ـ نحو نطقت الحال بكذا ـ ونطق لسان الحال الواضحة بكذا

فنى الاول ـ شبهت الحال بانسان واستعير لها اسمه وحذف ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو النطق واثبات النطق للحال تخييل ، وهى مجردة لانها لم تقترن بشئ يلائمهما

المبحث العاشر

﴿ فى المجاز المرسل المركب ﴾

المجاز المُرْسَل المركب هو الكلام المُستعمل فى غير المعنى الذى وُضع له ، لعلاقة غير المشابهة مع قَرِينة مانعة من إرادة معناه الأصلى ـ ويقع أَوَّلًا فى المُركّبات الخبرية المستعملة فى الانشاء وعكسه لاغراض كثيرة منها التحسّر وإظهار التأسف كما فى قول الشاعر

ذَهَبَ الصِّبا وتولّت الأَيامُ فعلى الصِّبا وعلى الزَّمان سلام

فإنّه وإن كان خبراً فى أصل وضعه إلا أنه فى هذا المقام مستعمل فى إنشاء التّحسّر والتحزُّن على ما فات من الشَباب ، والقرينة على ذلك الشطر الثانى ـ وكقول جعفر بن عُلبة الحارثى

هَوَاىَ مع الرَّكب اليمانينَ مُصْعَدٌ جَنيبٌ وجُثمانى بمكّةَ مُوثَقُ

فهو يشير الى الأَسف والحزن الذى ألَمَّ به من فراق الأَحبة .

ويتحسَّر على ما آل اليه أمره ، والقرينة على ذلك حال المتكلم

ومنها اظهار الضّعف فى قوله

وفى الثانى ـ شبهت الحال بانسان واستعير له اسمه ، وحذف ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو «لسان» واثباته للحال تخييل ، وهوالقرينة ، والنطق ترشيح ، لانه يلائم المشبه به والوضوح تجريد لانه يلائم المشبه ـ ولما تعارضا سقطا

وتنقسم المكنية أيضاً الى عنادية ـ نحو ـ أنشبت المنية أظفارها بفلان ـ لانه لا يمكن اجتماع طرفيها فى شئ واحد يكون منية وسبعا ، ووفاقية ـ نحو نطقت الحال بكذا ـ لانه يمكن اجتماع طرفيها فى شئ واحد كالحال مع الانسان

رَبِّ إنِّى لا أستطيع اصطباراً فاعفُ عنّى يا منْ يقبَل الْعثارَا

ومنها اظهار السُّرور ، نحو كُتِبَ اسمى بين الناجحين .

ومنها الدعاء ـ نحو نجَّحَ اللهُ مقاصدنا — أيُّها الوطن لك البقَاء

وثانيا فى المركبات الانشائيّة كالأمر والنهى والاستفهام التى خرجت عن معانيها الاصلية، واستُعملت فى معان أُخَر : كما فى قوله عليه الصلاة والسلام « من كَذَبَ علَىَّ متَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النارِ »

إذ المرادُ « يتبوّأ مقعده » والعلاقة فى هذا السَّببيّة والمسببيّة ، لان إنشاء المتكلم للعبارة سبب لاخباره بما تتضمنُه ، فظاهره أمر ، ومعناه خبر

المبحث الحادى عشر

﴿ فى المجاز المركب[1] بالاستعارة التَّمثيليّة ﴾

المجاز المركب بالاستعارة التَّمثيلية هو تركيب استعمل فى غير ما وُضع له ، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الاصلى ، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة مُنتزعة من متعدّد ـ وذلك بأن تشبِّه إحدى صورتين مُنتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تُدخِل المشبه فى الصُورة المشبه بها مُبالغة فى التشبيه — وُيسمَّى بالاستعارة التَّمثيليّة[2]

---

(١) المجاز المركب هو تركيب استعمل فى ما يشبّه بمعناه الاصلى تشبيه التمثيل

(٢) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام فى كل استعارة للاشارة الى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلا ـ إذ هى مبنيّة على تشبيه التمثيل . ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ـ لهذا كان أدق أنواع التشبيه . وكانت الاستعارة المبنيّة عليه أبلغ أنواع الاستعارات ـ ولذلك كانا غرض البلغاء

نحو الصَّيفَ ضيَّعتِ اللَّبنَ — يُضرب لمن فرَّط فى تحصيل أمر فى زمن يمكنه الحصول عليه فيه ، ثم طلبه فى زمن لا يمكنه الحصول عليه [1] فيه ونحو (إنى أَراكَ تُقَدِّمُ رِجلاً وتُؤخِّرُ أُخرَى) يُضرب لمن يتردّد فى أمر فتارة يقدِم ، وتارة يحجِم ، ونحو (أَحشفا وسُوء كَيلة) يُضرب لمن يظلم من وجهين — وأصله أن رجلا اشترى تمراً من آخر فاذا هو رديء ، وناقص الكيل. فقاز المشترى ذلك — ومثل ما تقدَّم جميع الأمثال السائرة نثراً ونظماً

فمن الاول — قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفى ، وهو متستّر تحت أمرٍ ظاهر

---

(١) أصل المثل أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غنى فطلبت طلاقها منه فى زمن الصيف لضعفه — فطلقها وتزوجت بشاب فقير . ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل — واجراء الاستعارة فى هذا المثل الاول أن يقال شبهت هيئة من فرط فى أمر زمن امكان تحصيله ، بهيئة المرأة التى طلقت من الشيخ اللّابن ورجعت اليه تطلب منه اللبن شتاء بجامع التفريط فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

وإجراء الاستعارة فى المثل الثانى أن يقال شبهت هيئة من يتردد فى أمر بين أن يفعله وألا يفعله . بهيئة من يتردد فى الدخول فتارة يقدم رجله وتارة يؤخرها بجامع الحيرة فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الثالث شبهت هيئة من يظلم من وجهين بهيئة رجل باع آخر تمراً رديئاً وناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الرابع شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل

« لأمر ما جدَعَ قَصيرٌ أنفَه » وقولهم « تَجوع الحُرَّة ولا تأكل بثديها ، وقولهم ، لمن يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه « اليد لا تصفق وحدَها » وقولهم لمجاهد عاد الى وطنه بعد سفر

« عاد السَّيف الى قِرابه وحَلّ اللّيث مَنِيع غابهِ » وقولهم لمن يأتى بالقول الفصل (قَطَعَتْ جهيزةُ قَوْلَ كلّ خطيب)

ومن الثاني قول الشاعر

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السّحر والساحرُ

اذا قالت حذام فصدِّقوها فان القول ما قالت حذام

على أمر خفى يريده ـ بهيئة الرجل المسمى قصيراً حين جدع أنفه ليأخذ بثأر جذيمة من الزباء بجامع الاحتيال فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل الخامس أن يقال شبهت هيئة كريم الأصل عزيز النفس الذى لا يفضل الدنايا على الرزايا عند ما تزل به القدم . بهيئة المرأة التى تفضل جوعها على إجارتها للارضاع عنده فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع فى كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل السادس شبهت هيئة من يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه ، بهيئة من يريد أن يصفق بيد واحدة . بجامع العجز فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل السابع شبهت هيئة الرجل الذى يحصل بوجوده فصل المشكلات . بهيئة نبى الله موسى عليه السلام مع سحرة فرعون بجامع حسم النزاع فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الثامن شبهت هيئة الرجل الذى لا يقول إلا الحق

متى يبلغ البنيان يوما تمامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ [١]

وإذا فشت وشاعَتْ الاستعارة التمثيلية [٢] وكثر استعمالها تكون مثلا لا يُغيَّر مطلقا بحيثُ يخاطب به المفرد والمذكر ، وفروعهما ، بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مورده الاول وان لم يُطابق المضروب له

ولذا كانت هذه الاستعارة محطّ أنظار البلغاء . لا يعدلون الى غيرها إلا عند عدم إمكانها فهى أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً ، اذ مبناها تشبيه التمثيل الذى قد عرفتَ أنّ وجه الشّبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة

ومِن ثَمّ كانت هى والتشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون اليه ، ويتفاوتون فى إصابتـه . حتى كُثُرا فى القرآن الكريم كثرة كانت إحدى الحُجج على إعجازه

ولا يخبر إلا بالصدق بهيئة المرأة المسماة « حـذام » بجامع الصدق فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

(١) واجراء الاستعارة فى المثل التاسع : شبهت حال المصلح يبـدأ الاصلاح ثم يأتى غـيره فيبطل عمله ، بحال البنيان ينهض به حتى اذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول الى الغاية لوجود مايفسد على الساعى سعيه ، ثم حذف المشبه واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه

(٢) وتنقسم التمثيلية إلى قسمين تحقيقية وتخييلية ـ فالتحقيقية هى المنتزعة من عدة أمور متحققة موجودة خارجا ـ كما فى الأمثلة السابقة ـ والتخييلية هى المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها فى الخارج ولا فى الذهن . وتسمى الأولى « تمثيلية تحقيقية » والثانية « تمثيلية تخييلية » كقوله تعالى (انا عرضنا الأمانة عـلى السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) الآية

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة ، وهى أبلغ من التشبيه لانها تضع أمام المخاطب بدلا من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عما ينطوى تحتها من التشبيه ، وعلى مقدار ما فى تلك الصورة من الروعة وسمو الخيال تكون البلاغة فى الاستعارة

وأبلغ أنواع الاستعارة « المرشحة » لذكر ما يناسب المستعار منه فيها بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين المستعار منه

ثم تليها « المطلقة » لترك ما يناسب الطرفين فيها بناء على دعوى التساوى بينهما

ثم تليها « المجردة » لذكر ما يناسب المستعار له فيها بناء على تشبيهه بالمستعار منه

ولا بد فى الاستعارة ، وفى التمثيل على سبيل الاستعارة من مراعاة جهات حسن التشبيه ، كشمول وجه الشبه للطرفين ، وكون التشبيه وافيا بافادة الغرض ، وعدم شم رائحة التشبيه لفظا . ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جليا لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية وإلغازاً .

على احتمال فيها . فانه لم يحصل عرض وإباء واشفاق منها حقيقة ، بل هذا تصوير وتمثيل . بأن يفرض تشبيه حال التكاليف فى ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها ، بحال أنها عرضت على هذه الأشياء مع كبر أجرامها وقوة متانتها فامتنعن وخفن من حملها بجامع عدم تحقق الحمل فى كل ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه . استعارة تمثيلية ، ونحو قوله تعالى (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فان معنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالها أنه أراد تكوينهما فكانتا كما أراد . فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها ـ وتمثيل ذلك بحالة الآمر المطاع لهما واجابتهما له بالطاعة فرضا وتخييلا من غير أن يتحقق شئ من الخطاب والجواب ، هذا أحد وجهين فى الآيتين كما فى الكشاف . فارجع اليه

اسئلة على الاستعارة يطلب أجوبتها

ماهى الاستعارة؟. ما أركانها ؟. كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه ؟ . ـ ما أصل الاستعارة ؟ . ـ ماهى الاستعارة التصريحية كم قسما الاستعارة التصريحية ؟ . ـ كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له . والمستعار منه ؟ ـ ماهى الاستعارة المرشحة ؟ ـ ماهى الاستعارة المجردة ؟ . ـ ماهى الاستعارة المطلقة ؟ . ـ كم قسما الاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفيها فى شئ ؟ . ـ ماهى الاستعارة الوفاقية ؟ . ماهى الاستعارة العنادية ؟ . ـ كم قسما الاستعارة باعتبار الجامع ؟ . ـ ماهى العامية ؟ . ماهى الخاصية ؟ . ـ ماهى التمليحية ؟ ـ ماهى التهكمية ؟ ـ مامثال الطرفين الحسيين والجامع حسى ؟ . ـ ما مثال الطرفين الحسيين والجامع عقلى ؟ . ـ مامثال الطرفين الحسيين والجامع بعضه حسى وبعضه عقلى ؟ . ـ مامثال الطرفين العقليين والجامع عقلى ؟ . ـ مامثال المستعار منه الحسى والمستعار له العقلى مامثال المستعار منه العقلى والمستعار له الحسى ؟ ماهى الاستعارة بالكناية عند الجمهور ؟ . ماهى الاستعارة بالكناية عند السكاكى ؟ ماهى الاستعارة بالكناية عند الخطيب ؟ . ـ كم قسما الاستعارة بالكناية ؟ . ـ ماهى المكنية الاصلية ؟ ـ ماهى المكنية التبعية ؟ . ـ ماهى الاستعارة التخييلية عند الجمهور ؟ . لم سميت استعارة ؟ لم سميت تخييلية ؟ . ماهى الاستعارة المكنية المرشحة ؟ ـ ماهى الاستعارة المكنية المجرده ؟ . ماهى الاستعارة المكنية المطلقة ؟ . ـ كم قسما المكنية باعتبار امكان اجتماع طرفيها فى شئ ؟ . ماهى

العنادية ؟ . ماهى الوفاقية ؟ . ـ ماهو المجاز المركب ؟ . ـ ماهى الاستعارة التمثيلية ؟ ـ ماهو المجاز المركب بالاستعارة ؟ . ـ ماهى محسنات الاستعارة

﴿ تمرين آخر على كيفية إجراء الاستعارات ﴾

١ فسمونا والفجر يضحك فى الشـ ـرق الينا مبشراً بالصباح

٢ عضّنا الدهرّ بنابه ليتَ ما حلّ بنابه

٣ لسنا وان أحسابنا كرمت يوماً على الاحساب نَتَّكلُ

٤ دقّات قلب المرء قائلة له إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِ

---

(١) شبه الفجر بانسان يتبسم ، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة ـ والقدر المشترك بينهما البريق واللمعان ؛ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذف المشبه وأشار اليه بشئ من لوازمه وهو الضحك — على طريق الاستعارة بالكناية ، واثبات الضحك استعارة تخييلية

(٢) شبه حوادث الدهر بالعض بجامع التأثير والألم من كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من العض وهوالمصدر عض بمعنى آلم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وذكر الناب ترشيح

(٣) فى كلة « على » استعارة تصريحية تبعية فقد شبه مطلق ارتباط بين حسيب وحسب بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بجامع التمكن والاستقرار فى كل ـ ثم استعيرت « على » من جزئى من جزئيات الأول ـ لجزئى من جزئيات الثانى ، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية .

(٤) شبه الدلالة بالقول بجامع ايضاح المراد فى كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ـ والقرينة نسبة القول الى الدقات

٥ بكت لؤلؤاً رطباً ففاضت مدامعي عقيقاً فصار الكل في نحرها عقداً

٦ إن التباعد لا يضر إذا تقاربت القلوب

٧ ذم أعرابي رجلا فقال (يقطع نهاره بالمنى ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى)

٨ قَوْمٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا

---

(٥) شبه المتساقط من فيها باللؤلؤ بجامع البياض والاتساق في كل — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ـ ثم شبه الدمع النازل من عينيه بالعقيق بجامع الحمرة واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ـ والقرينة كلتا بكت ، وفاضت وذكر العقد ترشيح .

(٦) شبه التواد بالتقارب بجامع الألفة في كل منهما ـ ثم استعير التقارب للتواد واشتق منه تقارب بمعنى تواد ـ والقرينة كلمة القلوب وهي استعارة مطلقة

(٧) شبه المنى بسكين قاطع بجامع الاجهاز وانهاء المقطوع في كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو يقطع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة ، ويقطع استعارة تخييلية . وكذا شبه الهم بانسان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الذراع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة كلمة الذراع . ويتوسد ترشيح

(٨) شبه الشر بأسد متحفز للوثوب فيكشر عن أنيابه بجامع الاستعداد للهجوم في كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الناجذان على طريق الاستعارة المكنية المرشحة ـ والقرينة كلمة ناجذيه . وكلمة أبدى ترشيح . ثم شبه مشيهم بالطيران بجامع السرعة في كل منهما ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من الطيران طار بمعنى أسرع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة ـ والقرينة اسناد الطيران اليهم

٩ جاء الشتاء واجثألَ القُبَّرُ وطلعت شمسٌ عليها مِغفرُ
١٠ سأبكيكَ للدُّنيا وللدِّينِ إن أبت يدُ المعروف بعدكَ شُلَّت
١١ وإنَّكَ لَعَلَى خلقٍ عظيمٍ
١٢ سقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إذا سلَّ أو مضَتْ إليهِ ثَنَايَا الْمَوْتِ مِنْ كلِّ مَرْقَدِ
١٣ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أيُّهَا الثقلَانِ

---

(٩) شبه السحاب الذى يستر الشمس . بالمغفر الذى يستر الرأس ـ بجامع الستر فى كل واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة ـ والقرينة كلمة شمس

(١٠) شبه المعروف . بانسان له يد تعطى ـ والجامع الاعطاء فى كل منهما وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة ، والقرينة كلمة يد ـ وهى الاستعارة التخييلية ، وشلت ترشيح

(١١) شبه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والاخلاق الشريفة والثبوت عليها بتمكن من علا دابة يُصرِّفها كيف شاء . بجامع التمكن والاستقرار فى كل . فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التى هى معانى الحروف ، فاستعير لفظ «على» الموضوع للاستعلاء الحسى للارتباط والاستعلاء المعنوى ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية

(١٢) شبه لحاق الموت به . بالسقى بجامع الوصول فى كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من السقى سقى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة على ذلك نسبة السقى إلى الردى ـ وأيضاً قد شبه الموت بانسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضئ — والجامع البريق واللمعان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الثنايا على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة — والثنايا استعارة تخييلية ـ وأومض ترشيح

(١٣) شبه القصد إلى الشىء والتوجه له ، بالفراغ والخلوص من الشواغل ـ بجامع

١٤ إنّا لَنَرَاكَ فى ضَلَالٍ مُبِينٍ

١٥ فتًى كُلَّمَا فاضَتْ عُيُونُ قَبِيلةٍ دمًا ضَحِكَتْ عَنْهُ الأَحاديثُ والذكرُ

الاهتمام فى كل . واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو : تفرغ ـ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالية

(١٤) فى كلة « فى » استعارة تصريحية تبعية فقد شبهت «فى» التى تدل على الارتباط « بفى » التى تدل على الظرفية بجامع التمكن فى كل فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات فاستعيرت فى من الثانى للأول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ والقرينة على ذلك كلة الضلال

(١٥) شبه العيون بالنهر بجامع الصب الكثير فى كل منهما ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو فاض على سبيل الاستعارة الاصلية المكنية وفاض قرينتها وهى الاستعارة التخييلية ـ وكذا شبه السرور والارتياحية بالضحك بجامع ما تجده النفس عند كل من المسرة ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر ـ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

تطبيق عام على المجاز وأنواع الاستعارة

رأيت أسداً فى الحمام — شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة فى كل واستعير الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة المصرحة الأصلية

رأيت قُسًّا اليوم — شبه الرجل الفصيح « بقس بن ساعدة » بجامع الفصاحة فى كل ، واستعير « قس » للرجل الفصيح على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية

رأيت حاتما اليوم ـ شبه الرجل الكريم « بحاتم الطائى » بجامع الكرم فى كل واستعير « حاتم » للرجل الكريم على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية

نطقت حالك بنجابتك ـ شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع الايضاح فى كل واستعير « النطق » للدلالة الواضحة واشتق من « النطق » بمعنى الدلالة الواضحة « نطقت » بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . وسميت تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به . وتبعية لأن جريانها فى الفعل تابع لجريانها فى المصدر

يحيي الارض بعد موتها ـ شبه تزيين الارض بالنبات الاخضر النضر بالاحياء بجامع ما يترتب على كل من الحسن والنفع ، واشتق من « الاحيـاء » بمعنى التزين « يحيي » بمعنى يزين على سبيل الاستعارة المصرحة التبعية

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف

فيه استعارة تمثيلية . فانه شبه هيئته القائمة به من الذوق الوجدانى ، بهيئة من جرى على لسانه ذلك من عشاق الاشباح بجامع الهيئة الحاصلة من التأثر والوجدان فى كل واستعار الكلام الدال على المشبه به للمشبه ـ على سبيل الاستعارة التمثيلية

تصرّمت منا أويقات الصبا ولم نجد من المشيب مهربا

فيه مجاز مرسل مركب ، علاقته السببية . فان هذا الكلام سبب فى التحسر أو الملزومية . لان الاخبار بهذا مستلزم للتحسر

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالى بالشكاية أنطق

فيه استعارة مكنية أصلية مرشحة وفاقية فى كلمة حال . شبهت الحال بانسان متكلم بجامع الدلالة فى كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه . وحذف ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو (اللسان) على سبيل الاستعارة المكنية الاصلية . وإثبات (اللسان) للحال تخييل ، والنطق ترشيح . وفيه استعارة تصريحية تبعيـة فى النطق . شبهت الدلالة بالنطق . واستعير لها اسمه . واشتق منـه (أنطق) بمعنى أدل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . واللسان ترشيح — وهى وفاقية لامكان اجتماع طرفيها اللذين هما النطق والدلالة فى شىء

فان تعافوا العدل والايمانا فانّ فى إيماننا نيرانا

فيه استعارة مكنية أصلية فى (العدل) و (الايمانا) فانه شبه (العدل) و (الايمان)

بشيء كريه يعاف، بجامع كراهة النفس لكل. واستعير لفظ المشبه به للمشبه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو (تعافوا) على طريق الاستعارة المكنية الاصلية وإثبات (تعافوا) للعدل و (الايمان) تخييل ـ وفى (نيرانا) استعارة تصريحية أصلية شبهت السيوف القاطعة بالنيران بجامع الضرر فى كل ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الاصلية

وتسلط قوله «تعافوا» على كل من العدل والأيمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف

أو من كان ميتا فأحييناه ـ أى ضالا فهديناه . فيها استعارتان تصريحيتان تبعيتان . الاولى عنادية . والثانية وفاقية .

فى الأولى ـ شبه الموت بالضلال بجامع عدم النفع فى كل . واستعير لفظ المشبه به للمشبه واشتق منه (ميتا) بمعنى ضالا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية العنادية . لانه لا يمكن اجتماع الموت والضلال فى شيء

وفى الثانية ـ شبه الهدى بالاحياء بجامع النفع فى كل واستعير الاحياء للهدى . واشتق منه (أحيا) بمعنى هدى . على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية الوفاقية لأنه يمكن اجتماع الهدى والحياة فى شيء

ينقضون عهد الله — شبه ابطال العهد بفك طاقات الحبل بجامع عدم النفع فى كل . واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو النقض للمشبه وهو الابطال . واشتق منه ينقضون بمعنى يبطلون على طريق الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة لانها لم تقترن بشيء

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

شبه الرجل الشجاع بالاسد . واستعار الاسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية المطلقة . لاقترانها بما يلائم المشبه . وبما يلائم المشبه به فان شاكى السلاح يناسب المشبه — وما بعده يناسب المشبه به والقرينة حالية (أى انها تفهم من حالة المتكلم)

فوق خدّ الورد دمع من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى بعد ما أن سال يجفف

شبه الورد بانسان جميل بجامع الحسن فى كل . وحذف المشبه به (انسان) ورمز اليه بشئ من لوازمه (خد) على طريق الاستعارة المكنية الاصلية المرشحة والقرينة هي اضافة خد للورد ـ وشبه السحاب بانسان بجامع النفع فى كل ، استعارة مكنية أصلية مرشحة ـ والقرينة اثبات العيون للسحب . وشبهت الشمس بامرأة حسناء بجامع الجمال فى كل. استعارة مكنية أصلية مجردة . والقرينة هى اثبات رداء للشمس ويقال للقرينة فى الجميع (استعارة تخييلية)

أثمرت أغصان راحته لجناة الحسن عنّابا

شبهت الراحة بشجرة ، بجامع الانتفاع من كل . استعارة مكنية أصلية مرشحة والقرينة هى اثبات جناة للحسن . وهى (استعارة تخييلية)

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

(السماء) بمعنى المطر . مجاز مرسل . علاقته السببية . أو المحلية ـ والقرينة هى (نزل)

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين ، الأولى طريقة تأليف ألفاظه والثانية ابتكار مشبه به بعيد عن الاذهان . لا يجول إلا فى نفس أديب وهب الله له استعداداً سليما فى تعرّف وجوه الشَّبَه الدقيقة بين الاشياء ، وأودعه قُدْرَةً على ربط المعانى وتوليد بعضها من بعض إلى مَدًى بعيدٍ لا يكاد ينتهى

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين ، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنّ تركيبَها يدل على تناسى التشبيه ، ويَحْمِلُكَ عَمْداً على تَخَيُّلِ صورة جديدة تُنْسِيك رَوْعَتَهَا ما تَضَمَّنَهُ الكلام من تشبيهٍ خفيٍّ مستور .

أنظر إلى قول البُحْتُرى فى الفَتْح بن خاقان .

يَسْمُو بِكَفٍّ عَلَى الْعَافِينَ حَانِيَةٍ تَهمى وَطَرْفٍ إِلَى الْعَلْيَاءِ طَمَّاحِ

ألست ترى كفه وقد تمثلت فى صورة سحابة هتانة تصبُّ وبلها على العافين والسائلين ، وأنَّ هذه الصورة قد تملكتْ عليك مشاعرك فأذهلتك عما اختبأ فى الكلام من تشبيه ؟

وإذا سمعتَ قوله فى رثاء المتوكل وقد قُتل غيلة

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ اللَّيَالِى حشَاشَةً يَجُودُ بِهَا والْمَوْتُ حُمْرٌ أَظَافِرُهْ (١)

فهل تستطيع أن تُبْعِد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت ، وهى صورة حيوان مفترس ضُرِّجَتْ أظفارهُ بدماء قتلاه ؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغَ من التشبيه البليغ ، لأنه وإن بُنى على ادعاء أن المشبهَ والمشبهَ به سواء لا يزال فيه التشبيه مَنْوِيًّا ملحوظا

بخلاف الاستعارة فالتشبيه فيها منسى مجحود ، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من المطلقة ، وأن المطلقة أبلغ من المجردة

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار ، وروعة الخيال ، وما تحدثه من أثر فى نفوس سامعيها ، فمجال فسيح للابداع ، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام

أنظر إلى قوله عز شأنه فى وصف النار

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

ترتسم أمامك النار فى صورة مخلوق ضخم ، بطّاش مكفهر الوجه ، عابس يغلى صدره حقداً وغيظاً ـ عن البلاغة الواضحة

---

(١) الصريع المطروح على الأرض ، وتقاضاه أصله تتقاضاه حذفت إحدى التاءين ، وهو من قولهم تقاضى الدائن دينه إذا قبضه ، والحشاشة بقية الروح فى المريض والجريح ـ يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته

الباب الثالث في الكناية

الكناية [١] لغة ما يتكلّم به الإنسان ويُريد به غيرَه

وهى مصدر كنيتُ ، أو كنوتُ بكذا عن كذا ـ اذا تركت التّصريح به

---

(١) توضيح المقام أنه إذا أطلق اللفظ وكان المراد منه غير معناه ـ فلا يخلو إما أن يكون معناه الاصلى مقصوداً أيضاً ليكون وسيلة الى المراد

وإما ألاّ يكون مقصوداً — فالأول — الكناية — والثانى — المجاز

فالكناية عند علماء البيان ـ لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة ذلك المعنى معه « كلفظ طويل النجاد » المراد به طول القامة فانه يجوز أن يراد منه طول النجاد أى علاقة السيف أيضاً ، فهى تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيق مع ارادة لازمه ، بخلاف المجاز فانه لا يجوز فيه ارادة المعنى الحقيقى لوجود القرينة المانعة من ارادته ، ومثل ذلك قولهم « كثير الرماد » يعنون به أنه كثير القرى والكرم ، وقول الخضرمى

قد كان تعجب بعضهن براعتى حتى رأين تنحنحى وسعالى

كنى عن كبر السن بتوابعه وهى التنحنح والسعال ـ وقولهم : المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ـ وقوله

ان المروءة والسماحة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وقوله وما بك فىّ من عيب فانى جبان الكلب مهزول الفصيل

فان « جبان الكلب » كناية ـ وكذا « مهزول الفصيل » والمراد منهما ثبوت الكرم وكل واحدة على حدتها تؤدى هذا المعنى . وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله بيض المطابخ لاتشكو إماؤهموا طبخ القدور ولا غسل المناديل

ويروى أن خلافا وقع بين بعض الخلفاء ونديم له فى مسألة ـ فاتفقا على تحكيم بعض أهل العلم . فاحضر فوجد الخليفة مخطئاً . فقال : القائلون بقول أمير المؤمنين،

واصطلاحاً ـ لفظ أُطلق وأُريد به لازمُ معناه مع قرينةٍ لا تَمنعُ من ارادة المعنى الأصلى نحو «زيد طويل النِّجاد» تُريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم ، فعدلتَ عن التصريح بهذه الصفة الى الاشارة إليها والكناية عنها لانه يلزم من طول حِمالة السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة ؛ فإذاً المراد طول قامته وان لم يكن له نِجاد ، ومع ذلك يصح أن يُراد المعنى الحقيقى ـ ومن هنا يُعلَم أنّ الفرقَ بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلى فى الكناية ، دون المجاز فأنه ينافى ذلك

نعم قد تمتنع إرادة المعنى الأصلى فى الكناية لخصوص الموضوع كقوله تعالى (والسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) وكقوله تعالى (الرَّحْمٰنُ على الْعَرْشِ اسْتَوٰى) كناية عن تمام القدرة وقوة التمكن والاستيلاء

وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب بها إلى ثلاثة أقسام ـ فأن المطلوب بها قد يكون صفة من الصفات ، وقد يكون موصوفا ، وقد يكون نسبة

الأول الكناية التى يُطلب بها صفة من الصفّات نوعان

١ كناية قريبة — وهى ما يكون الانتقال فيها الى المطلوب بغير واسطة

أكثر (يريد الجهال) واذا كان الرجل أحمق قيل ـ نعته لا ينصرف ، ونظر البديع الهمذانى إلى رجل طويل بارد ـ فقال : قد أقبل ليل الشتاء . ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد ـ فقال ما تجد فديتك ـ قال أجدك (يعنى البرد) واذا كان الرجل ملولا قيل : هو من بقية قوم موسى ، واذا كان مُلحداً قيل قد عبرَ (يريدون جسر الايمان) وإن كان يسئ الأدب فى المؤاكلة قيل : تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران . ويقال عمّن يكثر الاسفار : فلان لا يضع العصا

بين المعنى المُنتقل عنه ، والمعنى المُنتقل اليه — نحو

رفيعُ العِماد طويل النِّجا دِ ساد عشيرته أَمردَا

٢ وكناية بعيدة — وهى ما يكون الانتقال فيها الى المطلوب بواسطة أو بوسائط نحو « فلان كثير الرَّماد » كناية عن المضياف ، والوسائط هى الانتقال من كثرة الرماد الى كثرة الأحراق ، ومنها الى كثرة الطبخ والخبز . ومنها الى كثرة الضيوف . ومنها الى المطلوب وهو المضياف الكريم

الثانى الكناية التى يراد بها نِسبة أمر لآخر إثباتاً أو نفياً ، فيكون المكنِىُّ عنه نسبةً — نحو

إن السماحةَ والمُرُوءة والنّدى فى قُبَّةٍ ضرِبت على ابن الحَشْرَجِ

عن عاتقه ـ وجاء فى القرآن (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) فانه كنى عن الغيبة بأكل الانسان لحم الانسان . وهذا شديد المناسبة لان الغيبة إنما هى ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم ـ وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه ومن أمثال العرب قولهم لبستُ لفلان جلد النمر ، وجلد الأرقم ـ كناية عن العداوة وكذلك قولهم : قلبت له ظَهر المِجَنّ . كناية عن تغيير المودة . ويقول القوم ـ فلان برىء الساحة ، إذا بَرَّؤوه من تهمة ـ ورحب الذراع ، إذا كان كثير المعروف ـ وطويل الباع فى الامر ، اذا كان مقتدراً فيه ـ وقوىّ الظهر ، اذا كثر ناصروه . ومن ذلك أن المنصور كان فى بستان له أيام محاربته ابراهيم بن عبد الله بن الحسن فنظر الى شجرة خلاف فقال لربيع : ماهذه الشجرة ؟ فقال طاعة يا أمير المؤمنين . فتفاءل المنصور به ، وعجب من ذكائه . ومثل ذلك : أن رجلا مر فى صحن دار الرشيد ومعه حزمة خيزران ، فقال الرشيد للفضل بن الربيع ماذاك ؟ فقال عروق الرماح يا أمير المؤمنين ، وكره أن يقول « الخيزران » لموافقته اسم والدة الرشيد . ومن كلامهم « فلان طويل الذيل » يريدون أنه غنى حسن الحال . وعليه قول الحريرى

فانّ جعل هـذه الأشياء الثلاثة فى مكانه المختص به يستلزم اثباتها له

واعلم ان الـكناية المطلوب بها نسبة

إمّا أن يكون ذو النسبة مذكورا فيها ـ كقول الشاعر

أليُمن يَتبع ظِلّه والمجد يمشِي فى ركابه

وإمّا أن يكون غير مذكور كقولك « خير الناس من ينفع الناس » كناية عن نفى الخيرية عمّن لا ينفعهم

الثالث — الـكناية التى لا يُراد بها صـفة ولا نِسبة ، بل يكون المكنى عنه موصوفاً

إمّامعنى واحدا « كموطن الاسرار » كناية عن القلب، كما فى قول الشاعر

فلمّا شربناها ودبّ دبيبها الى موطن الاسرار قلت لها قفى

وإمّا بمجموع معان كقولك « جاءنى حىٌّ مُستوى القامة عريض الأظفار » (كناية عن الانسان) لاختصاص بمجموع هذه الأوصاف الثلاثة به ، ونحو

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن فـكيف حال غريب ماله قوت

وكذلك قولهم : فلان طاهر الثوب ـ أى منزه عن السيئات . وفلان دنس الثوب أى متلوث بها . قال امرؤ القيس

ثياب بنى عوف طهارة نقية وأوجههم عند المشاهد غُرّات

ويقولون : فلان غمر الرداء ـ اذا كان كثير المعروف عظيم العطايا . قال كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

ومن الـكنايات اللطيفة ما ذكرها الأدباء فى الشيب والكبر فيقولون : عرضت لفلان فترة ، وعرض له مايمحو ذنوبه . وأقمر ليله، ونوّر غصن شبابه . وفضض الزمان أبنوسه ـ وجاءه النذير . وقرع ناجذ الحلم . وارتاض بلجام الدهر . وأدرك زمان

الضاربين بكلّ أبيض مِخْذَم والطّاعنين مجامع الأَضغان (١)

ويشترط في هذه الكناية أن تكون الصّفة أو الصفات مختصّةً بالموصوف ، ولا تتعدّاه ليحصُل الانتقال منها اليه

وتنقسم أيضا باعتبار الوسائط (اللّوازم) والسِّياق الى أربعة أقسام تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء

(١) فالتّعريض لغة ـ خلاف التصريح

واصطلاحا ـ هو أن يُطلق الكلام ويُشار به الى معنى آخر يفهم من السِّياق نحو قولك للمؤذى (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمسلِمُونَ مِنْ لِسَانه وَيَدِه) تعريضاً بنفى صفة الاسلام عن المؤذى ، وكقوله

إذا الجُودُ لم يُرزَق خلاصا من الأذى ـ فلا الحمد مكسوبًا ولا المال باقيا

الحنكة . ورفض غرة الصبا . ولبّى دواعى الحِجى ومن كناياتهم عن الموت : استأثر الله به . وأسعده بجواره . ونقله الى دار رضوانه ومحل غفرانه ،واختار له النقلة من دار البوار الى دار الأبرار . ومن الكنايات أيضاً أن يقام وصف الشئ مقام اسمه كما ورد فى القرآن (وحملناه على ذات ألواح ودُسر) يعنى السفينة فوضع صفتها موضع تسميتها كما ورد (إذ عُرض عليه بالعشىّ الصافنات الجياد) يعنى الخيل . وقال بعض المتقدمين

سألت قتيبة عن أبيها صحبة فى الروح هل ركب الاغر الاشقرا

يعنى هل قتل ، لأن الاغر الاشقر وصف الدم فأقامه مقام اسمه

(١) الضاربين منصوب بأمدح المحذوف ، والابيض السيف ، والمخذم بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين القاطع ، والاضغان جمع ضغن وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد ـ كنى الشاعر بمجامع الاضغان عن القلوب ، وهى لا صفة . ولا نسبة بل هى موصوف

(٢) والتّلويح لغة — أن تُشيرَ إلى غيرك من بُعدٍ

واصطلاحاً — هو الذى كثرتْ وسائطه بلا تعريض ، نحو

وما يَكُ فىَّ مَن عيب فإنّى جَبانُ الكلب مهزولُ الفصيلِ

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل فان الفكر ينتقل الى جملة وسائط

(٣) والرَّمز لغة ـ أن تُشير الى قريب منك خفيةً بنحو شَفَةٍ أو حاجِب

واصطلاحاً هو الذى قلّت وسائطه مع خفاء فى اللزوم بلا تعريض نحو فلان عريض القفا ، أو عريض الوِسادة — كناية عن بلادته و بلاهته ونحو : هو مكتنز اللّحم ، كناية عن شجاعته ، ومتناسب الأعضاء ، كناية عن ذكائه ، ونحو : غليظ الكبد ، كناية عن القسوة ـ وهلم جرّا

والإيماء أو الإشارة هو الذى قلّت وسائطه مع وضوح اللّزوم بلا تعريض ، كقول الشاعر

أَوَمَا رأيت المجد ألقى رحله فى آلِ طلحةَ ثم لم يتحوّل

كناية عن كونهم أمجاداً أجواداً بغاية الوضوح

ومن لطيف ذلك قول بعضهم

سَأَلْتُ النّدَى والجُودَ مالى أَرا كما تَبَدَّلْتُما ذلاً بعزٍّ مُؤبَّدِ

وما بالُ رُكن المجْدِ أَمْسَى مُهدَّماً فقالا أُصبنا بابن يحيى محمدِ

فقلتُ فهلاَّ مُتّما عند مَوْتِهِ فقَدْ كنتُما عبْدَيْهِ فى كلِّ مَشْهَدِ

فقالا أقمنا كى نُعزّى بفقده مَسافة يومٍ ثم نَتلوه فى غَدِ

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقّها، وهى أبلغ من الحقيقة والتصريح لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم الى اللّازم فهو كالدّعوى ببيِّنة، فكأنك تقول فى « زيد كثير الرماد » زيد كريم لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ ـ كيف لا وأنّها تمكّن الإنسان من التّعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الأفصاح بذكرها، إمّا احتراماً للمخاطب، أو للأبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه دون أن يدع له سبيلا عليه، أو لتنزيه الأذن عمّا تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللّطائف البلاغية

تمرين (١)

بيّن أنواع الكنايات الآتية. وعيّن لازم معنى كل منها

(١) قال البحترى يصف قَتْلَهُ ذئباً :

فَأَتْبَعْتُهَا أُخْرَى فأضللْتُ نَصْلَهَا بحَيْثُ أَنْ يَكُون اللُّبُّ والرُّعْبُ والحقْدُ[١]

(٢) وقال آخر فى رثاء من مات بِعِلّةٍ فى صدره .

وَدَبَّتْ لَهُ فِي مَوْطِنِ الحِلْمِ عِلَّةٌ لَهَا كالصِّلَالِ الرُّقْشِ شَرُّ دَبِيبِ[٢]

(٣) ووصف أعرابى امرأة فقال : تُرْخِى ذيلها على عَرْقُوبَىْ نعامة .

---

(١) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة ، وأضللت أخفيت ، والنصل حديدة السيف واللب العقل ، والرعب الفزع والخوف ـ واعلم أن الكناية إمّا حسنة وهى ماجمعت بين الفائدة ولطف الاشارة كما فى الامثلة السابقة ـ و إمّا قبيحة وهى ما خلت عن الفائدة المرادة وهى معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبى

إنى على شَغَفِى بما فى خُمْرها لأعفّ عمّا فى سَرَاوِيلاتها

كناية عن النزاهة والعفة . الا أنها قبيحة لسوء تأليفها وقبح تركيبها

(٢) الصّلال جمع صِلّ بالكسر ضرب من الحيات صغير أسود لانجاة من لدغته ، والرقش

إنّ فى ثوبك الذى المجدُ فيه لِضياءٌ يُزرِى بكلّ ضياءِ

تمرين (٢)

بيّن نوع الكنايات الآتية ، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ وما لا يصح :

(١) وصف أعرابى رجلاً بسوء العِشرة فقال كان إذا رآنى قَرَّبَ من حاجبِ حاجبا

(٢) وقال أبو نواس فى المديح :

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِير

(٣) وَتَكْنِى العربُ عمّن يجاهر غيرَه بالعداوة بقولهم :

لبس له جِلْدَ النَّمِرِ ، وجِلْدَ الأَرْقَمْ [١] ، وقَلَبَ له ظهرَ المِجَنّ [٢]

(٤) فلان عريض الوِساد [٣] أغمُّ القفا [٤]

(٥) وقال الشاعر :

تَجُولُ خَلاَخِيلُ النِّسَاءِ وَلا أَرَى لِرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجُولُ وَلا قُلْبَا [٥]

(٦) وتقول العرب فى المديح : الكرم فى أثناء حُلّته ؛ ويقولون : فلان نفخ شِدْقَيْه ـ أى تكبر ، ورَمِ أنفه ـ إذا غضب .

(٧) قالت أعرابية لبعض الوُلاة : أشكو إليك قِلّةَ الجِرْذَانِ [٦]

جمع رقشاء وهى التى فيها نقط سوداء فى بياض ، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء

(١) الأرقم الحية فيها سواد و بياض (٢) المجنّ الترس ، وقلب له ظهر المجن مثَل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة و رعاية ثم حال عن العهد

(٣) عريض الوساد أى طويل العنق إلى درجة الافراط ، وهذا مما يُستدل به على البلاهة وقلة العقل (٤) الغَمَم غزارة الشعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا ـ وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة (٥) رَملة اسم امرأة ، والقُلب بالضم السوار

(٦) الجرذان جمع جُرذ وهو ضرب من الفأر

(٨) وقال الشاعر :

بِيضُ الْمَطَابِخِ لاَ تَشْكُو إِمَاؤُهُمُ طَبْخَ الْقُدُورِ وَلاَ غَسْلَ الْمَنَادِيلِ

(٩) وقال آخر :

مَطْبَخُ دَاوُدَ فِي نَظَافَتِهِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِعَرْشِ بِلْقِيسِ (١)
ثِيَابُ طَبَّاخِهِ إِذَا اتَّسَخَتْ أَنْقَى بَيَاضاً مِنَ الْقَرَاطِيسِ

(١٠) وقال آخر :

فَتًى مُخْتَصَرُ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْعِطْرِ
نَقِيُّ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ وَالْمِنْدِيلِ وَالْقِدْرِ

(١١) وقال آخر : اليُمنُ يتبع ظِلَّهُ والمجدُ يمشى فى رِكابِهِ

(١٢) وقال آخر : أصبح فى قيدك السماحة والمجدُ وفضلُ الصلاح والحسب
فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمِى كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا (٢)

المجدُ بَينَ ثوبَيك . والكرم مِلء بُردَيك

بلاغة الكناية

الكِنايةُ مَظْهَرٌ من مظاهر البلاغة ، وغاية لا يَصِل إليها إلا من لَطُف طبعُهُ وصَفَتْ قريحته ، والسِّرُّ فى بلاغتها أنها فى صور كثيرة تُعْطيك الحقيقة مصحوبةً بدليلها ، والقضيةَ وفى طيِّها بُرْهانها ، كقول البحترى فى المديح

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللحظِ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ فِى الصُّدُورِ مُحَبَّبِ

فإنه كَنَى عن إكبار الناس للممدوح وهَيْبَتِهم إيَّاه بِغَضِّ الأبصار الذى هو

---

(١) بلقيس بكسر الباء ملكة سبأ ، وسبأ عاصمة قديمة لبلاد اليمن (٢) الأعقاب جمع عَقِب وهو مؤخر القدم ، والكلوم الجراح ، يقول : نحن لا نُوَلِّى فنجرحَ فى ظهورنا فنقطر دماء كلومنا على أعقابنا ، ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا فان جُرحنا قطرت الدماء على أقدامنا

فى الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال : وتظهر هذه الخاصة جلية فى الكنايات عن الصفة والنسبة

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تضع لك المعانى فى صورة المحسّات، ولاشك أنّ هذه خاصة الفنون ، فإنّ المصوِّر إذا رسم لك صورة للأمل أو لليأس بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً

فمثل « كثير الرماد » فى الكناية عن الكرم « ورسول الشرّ » فى الكناية عن المزاح ـ وقول البحترى

أَوَمَا رَأَيْتَ المَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِى آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

فى الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة ، كلٌّ أولئك يُبرز لك المعانى فى صورة تشاهدها وترتاح نفسك إليها .

ومن خواص الكناية أنها تمكّنك من أن تَشْفِىَ غُلّتك من خصمك من غير أن تجعل له اليك سبيلاً، ودون أن تَخْدِش وجه الأدب ، وهذا النوع يسمى بالتعريض ، ومثاله قول المتنبى فى قصيدة يمدح بها كافورا ويعرِّض بسيف الدولة .

رَحَلْتُ فَكَمْ بالِكٍ بأَجْفانِ شادِنٍ عَلِىٍّ وَكَمْ بالِكٍ بأَجْفانِ ضَيْغَمِ (١)

وَمَا رَبَّةُ القُرْطِ المَلِيحِ مَكَانُهُ بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الحُسامِ المُصَمِّمِ (٢)

فَلَوْ كَانَ مابِى مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ وَلَكِنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ

رَمَى واتَّقَى رَمْيِى ومِنْ دُونِ ما اتَّقَى هَوًى كامِنٌ كَفِّى وقَوْسِى وأَسْهُمِى

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وصَدَّقَ ما يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

---

(١) الشادن ولد الغزال ، والضيغم الأسد ، أراد بالبالكى بأجفان الشادن المرأة الحسناء ، وبالبالكى بأجفان الضيغم الرجل الشجاع . يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقى وجزعوا لارتحالى (٢) القُرط ما يعلق فى شحمة الأذن ، والحسام السيف القاطع ، والمصمم الذى يصيب المفاصل ويقطعها ، يقول لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقى من الرجل الشجاع

فإنه كَنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المُعَمَّم ، ثم وصفه بالغدر الذى يَدَّعى أنه من شِيمَةِ النساء ، ثم لامَهُ على مبادهته بالعُدوان ، ثم رماه بالجبن لأنه يَرْمى ويتقى الرمى بالاستتار خلف غيره ، على أنّ المتنبى لا يجازيه على الشر بمثله ، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً يكسِر كفَّه وقوسَه وأسهُمَه اذا حاول النضال ، ثم وصفه بأنه سيئ الظن بأصدقائه ، لأنه سيئ الفعل كثير الأوهام والظنون ، حتى ليظن أن الناس جميعاً مثله فى سوء الفعل وضعفِ الوفاء . فانظر كيف نال المتنبى من سيف الدولة هذا النَّيْل كله من غير أن يذكر من اسمه حرفاً .

هذا ، ومن أوضح ميزات الكناية التعبيرُ عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعَه وأمثلة ذلك كثيرة جداً فى القرآن الكريم وكلام العرب ، فقد كانوا لا يُعبِّرون عمَّا لا يحسن ذِكره الاّ بالكناية ، وكانوا لشدَّة نَخْوتهم يَكْنونَ عن المرأة بالبَيْضة والشاة ـ ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب :

ألاَ يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلاَمُ (١)

فانه كنى بالنخلة عن المرأة التى يحبها ـ عن البلاغة الواضحة

أثر علم البيان في تأدية المعانى

ظهر لك من دراسة علم البيان أنّ مَعْنًى واحداً يستطاع أداؤه بأساليب عدَّةٍ وطرائقَ مختلفة ، وأنّه قد يُوضع فى صورة رائعة من صور التشبيه ـ أو الاستعارة أو المجاز المرسل ، أو العقلى ، أو الكناية

فقد يصف الشاعر انساناً بالكرم فيقول :

يُرِيد المُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلاَ يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الغِنى وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وهذا كلام بليغ جداً مع أنه لم يُقْصَد فيه إلى تشبيه أو مجاز ، وقد وصف

(١) ذات عرق موضع بالبادية وهو مكان احرام أهل العراق

الشاعر فيه ممدوحه بالكرم ، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل ، مع أنه ليس بأغنى منهم ، ولا بأكثر مالا

وقد يعمد الشاعر عند الوصف بالكريم الى أسلوب آخر فيقول :

كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِراً جُوداً وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا

فيشبه الممدوح بالبحر ، ويدفع بخياله الى أن يضاهى بين الممدوح والبحر الذى يقذف الدرر للقريب ، ويرسل السحائب للبعيد .

أو يقول :

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَىِّ النَّوَاحِى أَتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهْ

فيدّعى أنه البحر نفسه ، وينكر التشبيه نكرانا يدل على المبالغة وادعاء المماثلة الكاملة

أو يقول .

عَلاَ فَمَا يَسْتَقِرُّ الْمَالُ فِى يَدِهِ وَكَيْفَ تُمْسِكُ مَاءَ قُنَّةَ الْجَبَلِ ؟

فيرسل إليك التشبيه من طريق خفىّ ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى فى البلاغة وليجعل لك من التشبيه الضمنىّ دليلاً على دعواه ، فانه ادّعى أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه ، وأقام على ذلك برهاناً فقال « وكيف تمسك ماء قنة الجبل »

أو يقول :

جَرَى النَّهْرُ حَتَّى خِلْتُهُ مِنْكَ أَنْعُماً تُسَاقُ بِلاَ ضَنٍّ وَتُعْطَى بِلاَ مَنٍّ (١)

فيقلب التشبيه زيادة فى المبالغة وافتناناً فى أساليب الإجادة . ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح — بعد أن كان المألوف أن تشبه النعم بالنهر الفياض .

أو يقول :

كَأَنَّهُ حِينَ يُعْطِى الْمَالَ مُبْتَسِماً صَوْبُ الْغَمَامَةِ تَهْمِى وَهْىَ تَأْتَلِقُ (٢)

فيعمد إلى التشبيه المركب ، ويعطيك صورة رائعة تمثل لك حالة الممدوح

---

(١) الضن البخل ، والمن الامتنان بتعداد الصنائع

(٢) تهمى تسيل ، وتأتلق تلمع

وهو يجود ـ وابتسامة السرور تعلو شفتيه.

أو يقول :

جَادَتْ يدُ الْفَتْحِ والأَنْواءُ بَاخِلَةٌ وذَابَ نَائِلُهُ وَالْغَيْثُ قَدْ جَمَدَا

فيضاهى بين جود الممدوح والمطر ، ويدّعى أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت الأنواء ، أو جَمَد القطر .

أو يقول :

قَدْ قلْتُ لِلغَيْمِ الرُّكَامِ وَلَجَّ فِى إبراقِهِ وألَحَّ فِى إرعادِهِ (١)

لاَ تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهًا بِنَدَى يديْهِ فَلَسْتَ مِنْ أنْدَادِهِ

فيصرح لك فى جلاء وفى غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم ولا يكتفى بهذا بل تراه يَنْهى السحاب فى صورة تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه لأنه ليس من أمثاله ونظرائه .

أو يقول :

وأقْبَلَ يمْشِى فِى الْبِساط فَمَا دَرَى الى الْبَحْرِ يَسْعَى أم الى الْبَدْرِ يَرْتَقِى

يصف حال رسول الروم داخلا على سيف الدولة فَيَنْزع فى وصف الممدوح بالكرم إلى الاستعارة التصريحية . والاستعارة كما علمت مبنية على تناسى التشبيه والمبالغة فيها أعظم ، وأثرها فى النفوس أبلغ .

أو يقول :

دَعوتُ نَدَاهُ دَعوةً فَأَجَابَنِي وَعَلَّمَنِي احسَانُهُ كَيْفَ آمُلُهْ

فيشبه نَدى ممدوحه واحسانه بانسان . ثم يحذف المشبه به ويرمز اليه بشئ من لوازمه ـ وهذا ضربٌ آخر من ضروب المبالغة التى تُساق الاستعارة لأجلها :

أو يقول : ومَنْ قَصَدَ الْبَحرَ استَقَلَّ السَّوَاقِيَا

فيرسل العبارة كأنها مَثَلٌ ، ويصوِّر لك أن من قصد ممدوحه استغنى عمّن هو

---

(١) الغيم الركام المتراكم : ولج وألح كلاهما بمعنى استمر

دونه ، كما أن قاصد البحر لا يأبه للجداول ، فيعطيك استعارة تمثيلية ، لها روعة وفيها جمال ، وهى فوق ذلك تحمل برهانا على صدق دعواه ، وتؤيد الحال الذى يدّعيها أو يقول :

مَازِلْتَ تتبعُ مَا تُولِى يَداً بِيَدٍ حَتّى ظَنَنْتُ حَيَائِى مِنْ أيادِيكا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل ، ويطلق كلمة « يد » ويريد بها النعمة ، لأن اليد آلة النعم وسببها .

أو يقول :

أَعادَ يَوْمُكَ أيامِى لِنَضرتِهَا وافْتَصَّ جودُك مِنْ فَقْرِى وإعسَارى

فيسند الفعل الى اليوم — والى الجود على طريقة المجاز العقلى .

أو يقول :

فَمَا جازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَه ولَكنْ يَسير الجود حيث يسير

فيأتى بكناية عن نسبة الكرم اليه . بادّعاء أن الجود يسير معه دائماً ، لانه بَدَل أن يحكم بأنه كريم ادّعى أن الكرم يسير معه أينما سار ، ولهذه الكناية من البلاغة والتأثير فى النفس وحسن تصوير المعنى فوق مايجده السامع فى غيرها من بعض ضروب الكلام

فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف انسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً — كلٌّ له جماله وحسنه وبراعته ، ولو نشاء لأتينا بأساليب كثيرة أخرى فى هذا المعنى ، فان للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعانى لا يكاد ينتهى الى حد ، ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحى فى صفات أخرى كالشجاعة والاباء والحزم وغيرها ، ولكنا لم نقصد الى الاطالة ، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعرَ العربىَّ والآثار الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهراً وستَدْهَش للمَدَى البعيدِ الذى وصل اليه العقل الانسانى فى التصوير البلاغىّ والابداع فى صوغ الأساليب — عن البلاغة الواضحة

تم بحمد الله علم البيان * ويليه علم البديع بعونه تعالى